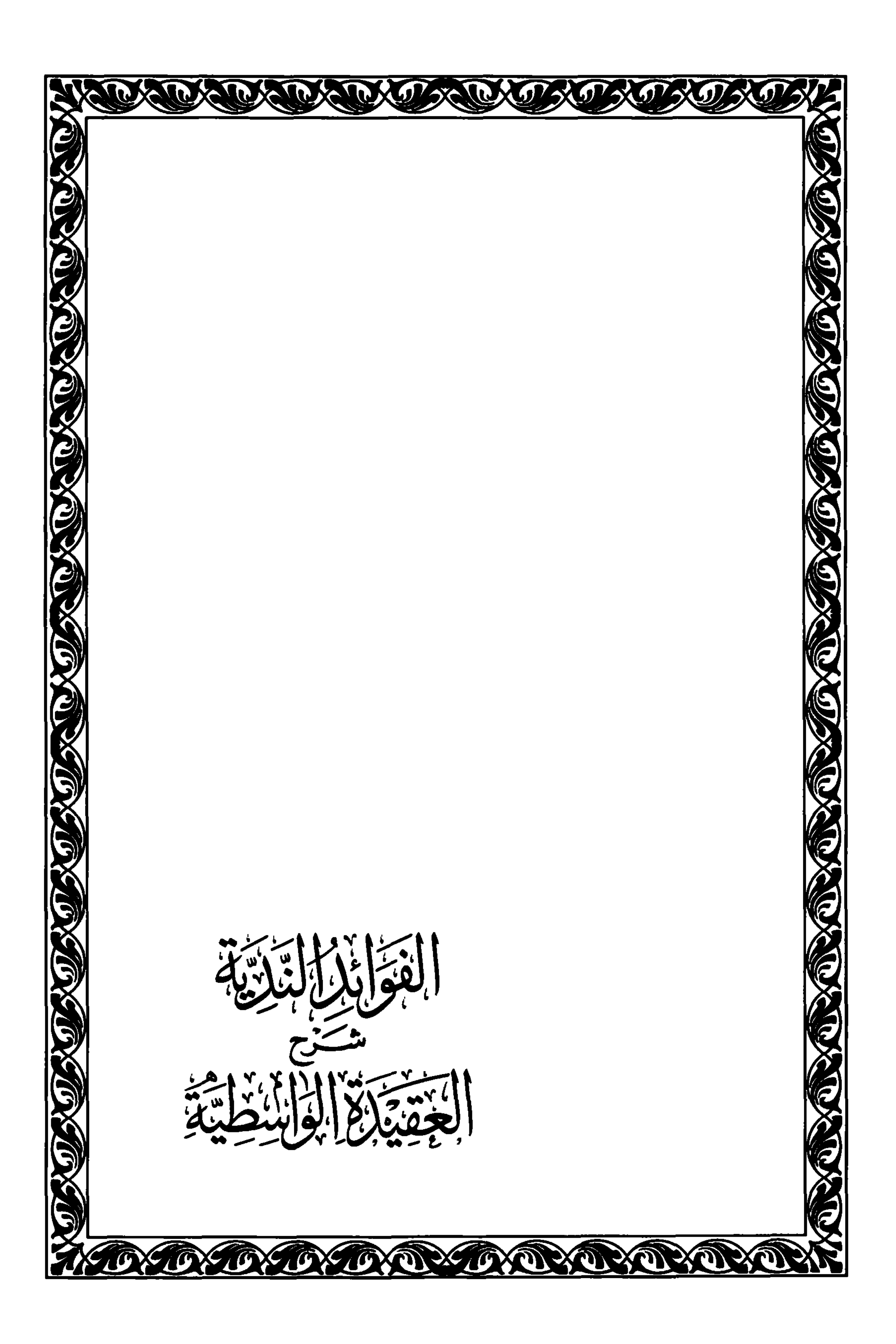

سلسلة إصدارات
مركز حفاظ السنة
(٤)
مركز حفاظ السنة
لتحفيظ وتعليم السنة النبوية ببريدة
الفوائد الندية
شرح
العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية
تأليف
أحمد بن محمد بن عبد الله الصقعوب
دار العقيدة
للنشر والتوزيع
مركز حفاظ السنة
لتحفيظ وتعليم السنة النبوية ببريدة


الفوائد الندية
شرح
العقيدة الواسطية



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصقعوب، أحمد محمد عبدالله

الفوائد الندية شرح العقيدة الواسطية . / أحمد محمد عبدالله الصقعوب - بريدة ١٤٣٨هـ

٢٢٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٤-٣-٩٠٩٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٣٨٢١

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٨٢١

ردمك: ٤-٣-٩٠٩٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

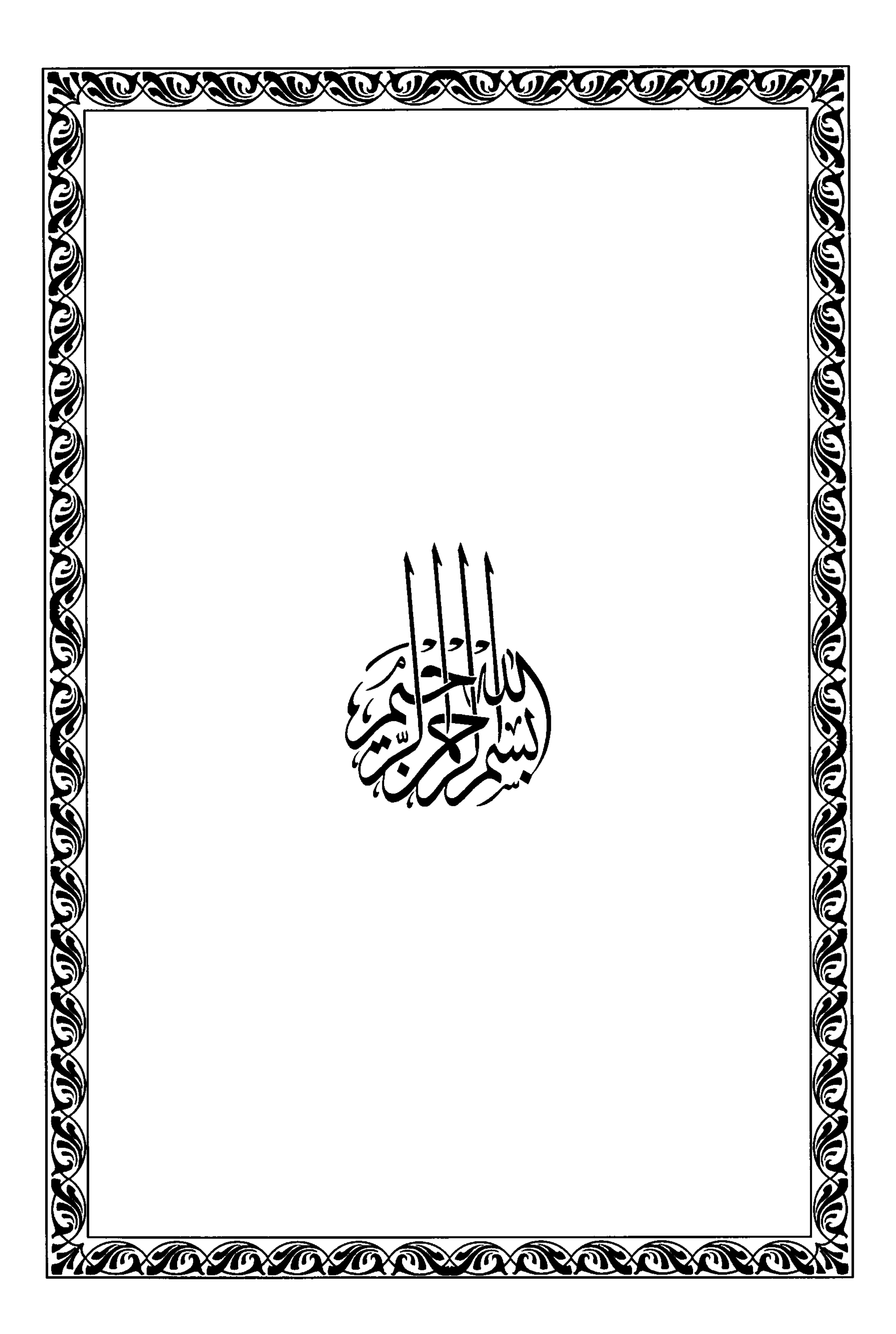
١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م



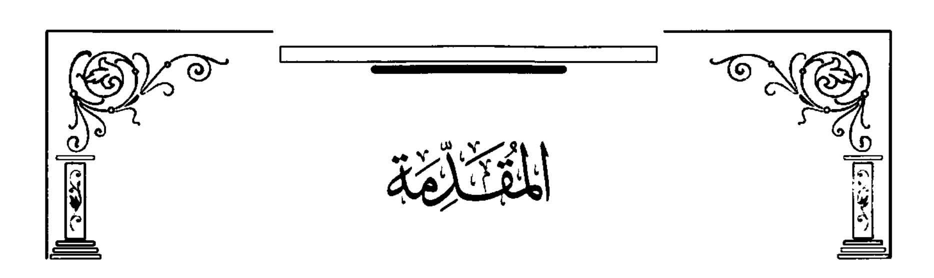


المملكة العربية السعودية - الرياض

جوال: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣١٠٠٦٧+


بسم الله الرحمن الرحيم





المقدمة

الحمدُ لله ربِ العالمين، إله الأولين والآخرين، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بلَّغ البلاغ المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرحٌ متوسطٌ على «متن العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، أسأل الله أن ينفع ويبارك فيه، إنه جواد كريم.

ومؤلف المتن هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ولد سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة.

وكان إمامًا متبحرًا في العلوم، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيّال الفهم، كثير المحاسن، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه، والرد على المبطلين.

وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وكان واسع العلم في شتى الفنون، إذا سُئل عن فن من العلم ظنَّ الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلَّم في علم من العلوم إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، اجتمعت فيه شروط

الاجتهاد على وجهها، وكان إمامًا في علوم الشريعة بلا منازع، كأنما جُمِعَت العلوم بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.

وقد اهتم: بالتأليف في الاعتقاد وشرح معتقد السلف، وتقرير أصولهم، والردّ على من خالفهم من سائر الفرق؛ من متكلمين، وفلاسفة، وصوفية، ورافضة، وباطنية، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع.

وناقش هذه الفرق في شبهاتهم، ونصر معتقد السلف الصالح، وعَرَضَه بدلائله العقليّة والنقلية، وردّ على من خالفه بأقوى ردّ وأفحم حجّة، رحمه الله رحمة واسعة.

وامتُحن شيخ الإسلام ابن تيمية بسبب ذلك مِحَنًا كثيرة، وما تكاد تنتهي محنة حتى تبدأ محنة جديدة، فمايزيده ذلك إلا ثباتًا وبذلًا، حتى لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق عام ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وعمره سبعةُ وستون عامًا، وحضر جنازته جمع كبير جدًّا يفوق العدد، ﷺ وأدخله الفردوس الأعلى، وأجزل له المثوبة يوم الدين، ونفعنا بعلمه، ووفقنا لسلوك منهج المتقين.

وتُعْتَبر العقيدة الواسطية من أكثر العقائد سهولةً ويسرًا، مع وضوحٍ في العبارة، وصحَّةٍ في الاستدلال، واختصارٍ في الكلمات، وضَّح فيها مجمل اعتقاد السلف في باب الأسماء والصفات، وقضايا الإيمان، والقدر، والصحابة، والكرامات، ووسطية أهل السنة في هذا الباب، وعددًا من مكملات العقيدة، وقد وُضِعَ لها القَبول، فتلقَّفها طلاب العلم ودرسوها وتدارَسوها، وحفظوها جيلًا بعد جيل، وهي من أجمع وأخصر ما كُتِب في عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد ابْتُلي بسببها، وعُقِدَت له مناظرات بين يدي نائب السلطنة بحضور جمع من القضاة فأفحم المخالف وبيَّن صواب ما فيها.

وسُمِّيَت بـ(العقيدة الواسطية)؛ لأنها كُتِبَت لأهل واسط بناء على طلب بعض قضاتها.

قال شيخ الإسلام: «قدم عليَّ من أرض واسطٍ بعض قضاة نواحيها. شيخٌ يقال له: رضي الدين الواسطي، قَدِم علينا حاجًّا، وكان من أهل الخير والدِّين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتر؛ من غلبة الجهل والظلم، ودُروس الدِّين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدةً له ولأهل بيته، فاستعفيتُ من ذلك، وقلتُ: قد كتب الناس عقائد متعدِّدة، فخذ بعض عقائد أئمة السُّنّة. فألحَّ في السؤال، وقال: ما أحبُّ إلا عقيدة تكتبها أنت. فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعدٌ بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخٌ كثيرة؛ في مصر والعراق، وغيرهما»(١).

واعتنى العلماء بشرحها وتوضيح ما تضمنته، ومن هذه الشروح:

١- «**التنبيهات اللطيفة**»: تأليف العلَّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٢- «**التَّنبيهات السنيَّة على العقيدة الواسطية**»: للشيخ عبد العزيز الرشيد.

٣- «**شرح الواسطية**»: للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٤- «**شرح العقيدة الواسطية**»: تأليف محمد خليل هراس.

٥- «**التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية**»: للشيخ عبد الله الجبرين.

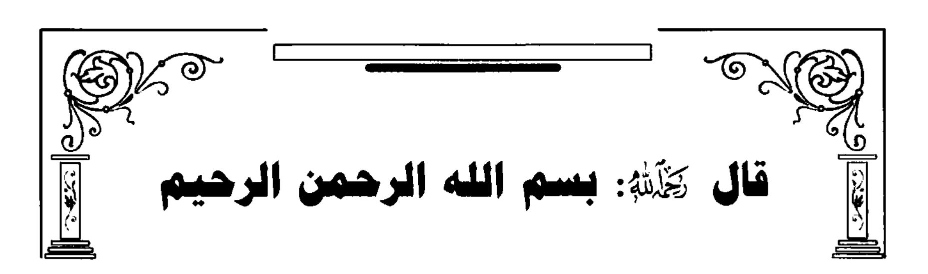
٦- «**شرح العقيدة الواسطية**»: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

٧- «**الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية**»: زيد بن فياض.

٨- «**العقيدة الواسطية ومجلس المناظرة فيها**»: بين شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء عصره. تحقيق زهير الشاويش.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٤).



قال رَحِمَهُ اللَّهُ: بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا. أَمَّا بَعْدُ:

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم).

بدأ **بالبسملة**؛ لأن البدء بها مندوب إليه كتابًا وسنةً[١].

قوله: (الحمد لله).

افتتح رسالته بحمد الله اقتداء بالرسول ﷺ، فقد صح عنه أنه كان يبدأ في خطبه بالحمد[٢].

---

(١) مثل ما جاء عند البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ...».

(٢) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: رواه مسلم (٨٦٨).

وكما في خطبة الحاجة: رواه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (٣٢٧٧)=

والحمد: هو ذكر المحمود بصفات الكمال محبة وتعظيمًا.

قوله: (الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ).

أي بعث رسوله، **والرسول**: إنسان ذكر أُوحِي إليه بشرع، وأُمِر بتبليغه، وأما **النبي**: فهو إنسان أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

وقيل: **الرسول**: هو من بُعِث بشريعة جديدة، **والنبي**: من بُعِث بشريعة مَنْ قَبْلَه.

والأنبياء كثيرٌ لا يَعْلَم عددهم إلا الله، وجاء في حديث فيه كلام أنهم يبلغون مائة وأربعة وعشرين ألف نبي.

وأما عدد الرسل فهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولًا، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفي إسناده ضعيفٌ، وقد صححه ابن حبان، والألباني في (الصحيحة)[1].

قوله: (بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ).

الهدى: هو العلم النافع، **ودين الحق**: هو العمل الصالح، وشرع للعباد نصرته بالحجة والبيان، والسيف والسنان.

= من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. حسّنه الترمذي، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٥٣٠). وانظر: خطبة الحاجة للألباني (ص٩)، زاد المعاد (١/ ١٧٩).

(١) رواه وابن حبان (٣٦١)، وأحمد (٢١٥٥٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ورواه الحاكم (٣٠٣٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٦٣): «وجملة القول: إن عدد الرسل المذكورين في حديث الترجمة صحيح لذاته، وأن عدد الأنبياء المذكورين في أحد طرقه، وفي حديث أبي ذر من ثلاثة طرق، فهو صحيح لغيره».

قوله: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ).

وعد الله ﷻ أن يُعلي دينه وينصره على سائر الأديان، وفي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢).

وقد وقع هذا الأمر، فقد جاهد المسلمون في الله حق جهاده حتى فتح الله عليهم، وظهر الدين على سائر الأديان، واتسعت رقعة الإسلام شرقًا وغربًا في أقل من ثلاثين عامًا، فقهروا جميع الملل الكافرة حتى علت كلمة الله على سائر الأديان وظهر الدين.

قوله: (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا).

أي: كفى بشهادة الله سبحانه إثباتًا على صدق رسول الله ﷺ وأنه ناصره، وذلك أن من أسمائهِ سُبحانه الشهيدُ، فلا يغيب عنه شيءٌ، فهو مطلع على كل شيءٍ، وقد شهد لرسوله بالصدق والرسالة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩].

قوله: (وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا).

أشهد: أي أقر واعترف أنه لا معبود بحق إلا الله، وهذا معنى هذه الكلمة العظيمة، وهو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه.

وهذه الكلمة وما دلَّت عليه أولُ واجب على العبيد وأعظمه نطقًا واعتقادًا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة: ٥].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لمَّا بعث رسول الله معاذًا إلى اليمن قال له: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**»(١)، فدلَّ على أن التوحيد هو أول واجب على العبيد.

قال حافظ حكمي:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الْأَوَامِرِ أَعْظَمُ ... وَهْوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى

وكلمة **الإخلاص** لها أركان وشروط وحقوق، من أتى بها فقد قام بحقها واستحق أعلى درجات الثواب.

فأركان لا إله إلا الله اثنان (النفي، والإثبات) فـ(لا إله) نافيًا جميع

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

المعبودات، (إلا الله) مثبتًا العبادة لله وحده.

وأما شروطها فسبعة: (العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول).

عِلمٌ يَقِيْنٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ مَحَبَّةٍ وَانقيادٍ والقَبول لهَا
وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا دونَ الإلهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

وتحقيقها: أن لا يُعْبَد إلا الله، كما أن تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله: أن لا يُعْبَد الله إلا بما شرع.

وحقُّ هذه الكلمة الذي يلزم مع النطق بها: فعل الواجبات وترك المحرمات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «من اعتقد أنه بمجرد تلفظ الإنسان بهذه الكلمة يدخل الجنة ولا يدخل النار بحال، فهو ضالٌّ مخالفٌ للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين»(١).

وأما ثمرتها: فسعادة الدارين لمن قالها عارفًا بمعناها عاملًا بمقتضاها.

وأما فضلها: فقد تكاثرت الأدلة على فضلها، ففي الصحيحين عن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»**. وفي رواية: **«مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيِّهَا شَاءَ»**(٢).

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصَّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

وأما نواقضها: فمذهب أهل السنة أن نواقضها قد تكون قولية أو فعلية أو اعتقادية، وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب منها عشرة، وذكر غيره من العلماء أكثر منها في باب حكم المرتد من كتب الفقه.

قوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا).

أي: أُقر وأعترف بأن محمدًا عبدٌ لله، فالله ربّه ومالكه، **ورسولٌ أرسله الله إلى الخلق**، وهذا هو المنهج الوسط في حق الرسول ﷺ بين أهل الإفراط والتفريط.

ولا بُدَّ لتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله: أن يُطيعه فيما أمر، ويُصدِّقه فيما أخبر، ويجتنب ما نهى عنه وزجر، ولا يعبد الله إلا بما شرع.

ثم صلّى وسلّم على الرسول ﷺ امتثالًا لأمر الله حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٦٠٢) من طريق درَّاج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. درّاج صدوق، وأحاديثه عن أبي الهيثم قوّاها ابن معين، وضعّفها أحمد وأبو داود (تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٨-٤٧٩، تقريب التهذيب ص٢٠١).
صححه ابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (١٩٣٦)، وابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٨).

وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(١).

وروى الترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**»(٢) حسّنه الترمذي، وصححه ابن حبان.

وإذا صلَّى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصر على أحدهما؛ لقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

قوله: (أَمَّا بَعْدُ).

هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، وقد كان النبي ﷺ يأتي بها في خطبه ومكاتباته(٣).

قوله: (فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، قوله: (فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ).

أي: ما سأذكره هو عقيدة هذه الفرقة التي عقدوا عليها قلوبهم، وهي أصولُ دينهم المأخوذة عن كتاب ربهم وسنة نبيهم والقرون المفضلة، وهي

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي (٤٨٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «حسن غريب».
صححه ابن حبان (٩١١)، وابن حجر في نتائج الأفكار (٣/ ٢٩٥).
وله شاهد عند البيهقي (٥٩٩٥) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**». قال الحافظ في الفتح (١١/ ١٦٧): «لا بأس بسنده».

(٣) كما في البخاري (٧، ٥٨، ٩٢٢-٩٢٧)، ومسلم (٧٦١، ٨٦٧، ١٥٠٤) وغيرها.

أصولٌ بنى أهل السنة عليها عقائدهم وتلقوها خلفًا عن سلف، ولا اختلاف بينهم فيها.

قوله: (الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ).

أي: الجماعة الناجية التي نجت وسلمت من الهلاك والشرور في الدنيا والآخرة، وحصل لها السعادة لتمسكها بالحق واستقامتها عليه، **فهم سَلِمُوا في عقائدهم** من الابتداع والضلال، وفي **مناهجهم** من الغلو والتفريط، **وفي الدنيا** نجوا مما وقعت فيه سائر الطوائف من مخالفة الصراط المستقيم، **وفي الآخرة** نجوا من عذاب الله وسخطه.

وروى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**»(١).

واختلف العلماء في تعداد هذه الفرق التي خرجت عن دائرة السنة، وكلامهم في هذا طويل، فمن هذه الفرق: الروافضُ والخوارجُ والقدريةُ والمرجئةُ والمعتزلةُ والجهميةُ والصوفيةُ، وحَصرُ هذه الفرق يصعب؛ إذ إن الفرق المخالفة لما كان عليه الصحابة كثيرة وقد يستجد غيرها، فاعرف سبيل

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وقد جاء عن عدد من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وأنس، وعوف بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥): «حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد». وقال العراقي في تخريج الإحياء (ص١١٣٣): «أسانيدها جياد». وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢٠٤).

النجاة بالسؤال عن الفرقة الناجية ومنهجها وخصائصها وتمسك بها، ولتكن هي المعيار الذي تزن به المخالفين، وهذا الذي فقهه الصحابة حين سألوا عن الناجية.

وأما الفرق المخالفة فأهم ما ينبغي معرفته هو معرفة أصولهم التي ينطلقون منها، وأسباب زيغهم وضلالهم وطريقة الرد عليهم، وأما التعمق في أقوالهم وعقائدهم والفروق الدقيقة بينها، فلا تشغل نفسك به فضرره أكثر من نفعه، وهذا الذي جرى عليه علماء السنة، كالإمام مالك وأحمد والآجري واللالكائي وابن بطة وغيرهم.

فقد جاء وصفها أنها الفرقة الناجية في الأحاديث عن النبي ﷺ بقوله: «أنها الجماعة، وما أنا عليه وأصحابي، وأنها السواد الأعظم».

قوله: (الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ).

أي: التي أعانها الله وأيَّدها ونصرها على أعدائها وجعل العاقبة لها على من عاداها وحاربها، كما روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»**(١).

وفي سنن أبي داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»**(٢).

(١) رواه مسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.
(٢) رواه أبو داود (٢٤٨٤) من حديث عمران رضي الله عنه.
صححه الحاكم (٢٣٩٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٥٩).

ففي هذه الأحاديث بشارة ببقاءِ طائفةِ على الحق منصورة ظاهرة إلى أن يأتي أمر الله، ويجعل الله لهم العاقبة، وهذه الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية، أو من الفرقة الناجية.

ولم يجعل الله الطائفة المنصورة خفية بل جعل أمرها ظاهرًا؛ لتقوم الحجة وتبين المحجة، وقد بيّنت النصوص صفاتهم، **وأبرزها:**

الأولى: أنهم على الحق، وهو الدين الذي جاء به الرسول ﷺ، وهو ما كان عليه الرسول والصحابة؛ فهم موافقون لما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة في العقائد والعبادات والأخلاق والسياسات الشرعية، وقد روى الترمذي وضعفه، **«قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**(١).

الثانية: قيامهم بأمر الله؛ لما روى مسلم في صحيحه: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ»**، فيدخل في هذا قيامهم بالدعوة إلى دين الله، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيامهم بتطبيق السنة والالتزام بها وإن تركها الناس، وقيامهم بالجهاد في سبيل الله.

قال سبحانه: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا**﴾ [هود: ١١٦].

الثالثة: أنهم ظاهرون إلى قيام الساعة؛ لما روى مسلم في صحيحه: **«ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(٢)، **وهذا الظهور يشمل:**

الأول: وضوحهم وعدم استتارهم، فهم معروفون بارزون؛ لأن تصديهم لنشر الدين والدفاع عنه بتبليغه ونصرته ومتابعة السنة في عقائدهم وعباداتهم

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما. وقال: «هذا حديثٌ مُفَسَّرٌ غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه». في إسناده: عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، ضعيف.

(٢) رواه مسلم (١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

ومعاملاتهم يعني: أنهم ظاهرون مشهورون معهم علماءهم ومعروف منهجهم.

ثانيًا: **ثباتهم على الحق والدين** مع كثرة العوائق والعقبات، وهذا من أعظم صور ظهورهم على رغم كثرة المُخَذِّلين والمخالفين، كما في صحيح مسلم: **«لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ»**.

ويدخل في هذا ظهورهم بالحجة والبيان، وسيطرة منطقهم على العقول والقلوب؛ لأن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه.

وأيضًا: **انتصارهم على عدوهم**، كما وعدهم الله، وانتصارهم لا يلزم أن يكون في كل وقت، ولكن العاقبة لهم على عدوهم، فالحق منصور في كل زمان ومكان، ومنصور من هو معه، لكن لا بُدَّ من حصول الابتلاء، ثم العاقبة للتقوى:

وَالحَقُّ مَنصُورٌ وممتحنٌ فَلَا ... تعجبْ فهذي سنةُ الرَّحمَن
وبذاك يظهر حِزْبُهُ مِنْ حربه ... وَلَا جلّ ذَاك النَّاسُ طَائِفَتَانِ
لكنما العُقبى لأهل الحق إِن ... فَاتَت هُنَا كَانَت لَدَى الدَّيَّان

قوله: (إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ).

أي: هم على ذلك إلى ساعة موتهم بمجيء الريح التي تقبض روح كل مؤمن، وهي الساعة المرادة هنا، وإلا فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ أنه قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ»**.

فقال عقبة: وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي**

يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» فَقَالَ عَبدُ اللهِ: أَجَلْ. **«ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»**[١].

فبقاؤهم إلى أن تأتي هذه الريح في آخر الزمان قُبيل قيام الساعة.

قوله: (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

أي: المختصين والمتمسكين بالسنة، والمعتنين بدراستها وفهمها وتطبيقها ونشرها والعمل بها اعتقادًا وعملًا.

والسنة: هي أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته في العقائد والعبادات والأخلاق والتعاملات والسياسات.

وأهل السنة ليس لهم اسم غير السنة والإسلام.

وأهل البدع: لا يُنسبون إلى السنة، فتارة ينسبون إلى الفعل كالروافض والخوارج، وتارة إلى القائل كالجهمية، وتارة إلى المقالة كالقدرية والجبرية، وأما أهل السنة فنسبتهم إلى الكتاب والسنة والإسلام، وكفاهم بذلك فخرًا.

قوله: (وَالْجَمَاعَةِ).

المقصود بهم هنا أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة،

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر رضي الله عنهم.

وقد تكاثرت الأدلة في الحث على لزوم الجماعة، ومنها: ما في الصحيحين: **«فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»**(١).

وروى الترمذي وحسّنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ»**(٢).

فالجماعة ما وافق الحق الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة، ومن سار على نهجهم ولو كانوا قليلًا.

وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزُوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»(٣).

وقال نعيم بن حماد: «إذا فَسدتْ الْجَمَاعَة فَعَلَيْك بِمَا كَانَت عَلَيْهِ الجَمَاعَة قبل أَن تفْسد وَإِن كنت وَحدك، فَإِنَّك أَنْت الجَمَاعَة حِينَئِذٍ»(٤).

ومقصود المؤلف: أني سأذكر لك أصول أهل السنة والجماعة التي بُعِث بها الرسول ﷺ، وأخذ بها الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح، والتي خالفهم فيها أهل الأهواء والبدع، فالزم هذه الأصول وتمسك بها واعتقدها تكن من الفرقة الناجية المنصورة وإياك ومخالفتها.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه».

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (١/ ١٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق(٤٦/ ٤٠٩).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق البيهقي (٤٦/ ٤٠٩).

قوله: (وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

تكلَّم المؤلف على أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وهذه أركان لا يتم الإيمان إلا بها، وأهل الإسلام يتفاوتون في تحقيقها وتكميلها.

والإيمان لغةً: التصديق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق، وقال شيخ الإسلام: «**هو الإقرار**»[١].

وتعريفه عند أهل السنة والجماعة هو: قول وعمل واعتقاد، فهو اعتقادٌ بالجَنان، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالعصيان.

قوله: (وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ).

الإيمان بالله يشمل: الإيمان بوجوده، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته على ما جاء في الكتاب والسنة، وأنه متصف بصفات الكمال والعظمة، منزه عن كل عيب ونقص، وأنه الإله الحق لا إله غيره، ولا رب سواه، ولمسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٢].

قوله: (وَمَلَائِكَتِهِ).

أي: الإقرار بوجودهم، وبما أخبرنا الله ورسوله من أوصافهم وأعمالهم،

---

(١) انظر: الإيمان الأوسط (ص٤١٣)، مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦) من حديث عثمان رضي الله عنه.

فنؤمن بهم إجمالًا، وتفصيلًا فيماعلمناه على وجه التفصيل من أوصافهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[(١)].

وقد دلَّ **الكتاب والسنة** على أن الملائكة كثيرٌ عددهم لا يعلم أعدادهم إلا الله.

فمنهم: المُوَكَّلُون بالوحي.

ومنهم: المُوَكَّلُون بالقطر.

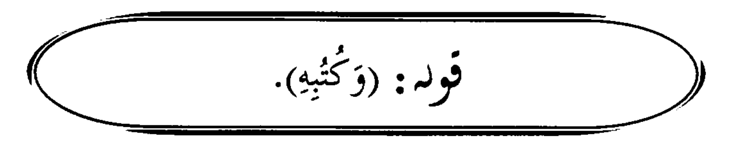
ومنهم: الموكَّلون بالأرحام.

ومنهم: الموكَّلون بالموت وقبض الروح والسؤال في القبر.

ومنهم: الموكَّلون بحفظ العبد، والموكَّلون بكتابة الأعمال.

ومنهم: مخلوقون للقيام على النار، فتبارك الله رب العالمين.

فما علمناه على سبيل التفصيل نؤمن به تفصيلًا، وما علمناه على سبيل الإجمال نؤمن به إجمالًا.



قوله: (وَكُتُبِهِ).

أي: التصديق والإقرار بأنها وحيٌ من الله، وأنها حقٌ ونورٌ وهدى، فنؤمن

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بما سمى الله منها، كالتوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بالقرآن ونُقر بما فيه ونتبعه.

ونؤمن بأن القرآن كلام منزل غير مخلوق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ونؤمن بأن القرآن مُعْجِز النَّظم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

ونؤمن أن جميع القرآن الذي تُوُفِّيَ النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يَفُت منه شيء.

وأما سائر كتب الأنبياء فنؤمن بها إجمالًا، ونعلم أن ما فيها من الأحكام أغنانا عنه القرآن وهَيْمَن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قوله: (وَرُسُلِهِ).

أي: التصديق والإقرار بأن أنبياء الله صادقون فيما أخبروا به، وأنهم بلَّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة، يجب احترامهم ومحبتهم، ولا نفرق بينهم، فيجب الإيمان بمن سمّى الله في كتابه من رسله، ونعلم أن لله رسلًا غيرهم وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله، ولم يأتِ نص صحيح في عددهم، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، فنؤمن بهم على سبيل الإجمال، ونحبهم ونصدقهم، ونتبع من أُرسل إلينا وهو محمد ﷺ، ونمتثل شرعه.

قوله: (وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ).

أي: التصديق والإقرار به وإثباته، وما يكون فيه، وهو يوم القيامة، فنؤمن بما يكون فيه مما دلّت عليه الأدلة من البعث، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وغيرها من الأمور العظام.

قوله: (وَالإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

أي: التصديق والإقرار بالقدر، وأنه لا يكون شيء من خير وشر إلا بتقدير الله ومشيئته، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(١)].

هذه أصول الإيمان وأركانه الستة التي يجب التصديق والإيمان بها، ثم الناس يتفاوتون في تحقيقها، فمن كان في تحقيقها والإتيان بأركانها وواجباتها أتم كان إيمانه أعلى وأكمل.

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

أي: من أصول أهل السنة إيمانهم وتصديقهم وإثباتهم كل ما وصف الله به

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

نفسه في كتابه، وما وصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير أن **يُحَرِّفُوا** معانيها وألفاظها، **ولا يُعَطِّلوها**، كمن يجحد ما دلَّت عليه، فيقول: سميع بلا سمع وبصير بلا بصر، **ولا يُكَيِّفُوها**، كمن يقول: صفة سمعه كذا وكذا، **ولا يُمثلوها**، كمن يشبه صفاته بصفات خلقه، **فأهل السنة بريئون من هذا كله**، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد جاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟، فقال الإمام مالك: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»(١).

وهذا جواب شافٍ كافٍ في جميع مسائل الصفات.

فإذا سُئل إنسان عن كيفية المجيء، أو النزول، أو السمع، أو البصر، أو غيرها، فيجيب بجواب الإمام مالك: فيقول: المجيء والنزول معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قوله: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ).

في هذا دليل على أن صفات الله سبحانه إنما تتلقى بالسمع لا بآراء الرجال، فصفاته سبحانه توقيفية، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله. قال الإمام أحمد: «**لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث**»(٢).

---

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧).

(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦)، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٢) بنحوه.

قوله: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ).

فالتحريف هو التغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها، فيدخل فيه تغيير الألفاظ وتغيير المعاني لأسماء الله وصفاته وكلاهما مذموم قال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

فتحريف اللفظ: العدول عن جهته إلى غيرها بزيادة أو نقصان، أو تغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع.

وأما تحريف المعنى: فهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما، وكلا التحريفين مذموم، وأهل السنة يتبرؤون منهم.

مثال تحريف اللفظ: قولهم في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة.

ومثال تحريف المعنى: قولهم في قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قالوا: استولى.

قوله: (وَلَا تَعْطِيلٍ).

معنى **التعطيل** هنا جحد صفات الله جلا وعلا، وإنكار قيامها بذاته سبحانه، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال، كمذهب المعتزلة الذين يقولون: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وقدير بلا قدرة، وأهل السنة يتبرأون من ذلك.

وأول من قال بالتعطيل في الإسلام: الجعد بن درهم، فقتله الأمير خالد

القسري بعد استشارة علماء زمانه.

ولأجلِ ذا ضَحَّى بجَعْدٍ خالدُ الـ قَسْرِيُّ يومَ ذبائحِ القربانِ
إذ قال: إبراهيمُ ليسَ خليلهُ كلَّا ولا موسى الكليمَ الدَّانِي
شكرَ الضحيَّةَ كلُّ صاحبِ سُنَّةٍ لله دَرُّكَ مِنْ أخي قُرْبَانِ

وتلقى عن الجعد مقالة التعطيل الجهم بن صفوان فنشرها وناضل عنها، فلذا نُسِبَ المذهب إليه، وقد قتل الجهمَ أميرُ خُرَاسَان سَلْمُ بن أَحْوَز.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتعطيل شر من الشرك؛ فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الألوهية، فإن ذاتًا لا تسمع ولا تبصر، ولا تغضب ولا ترضى، ولا تفعل شيئًا، وليست داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة بالعالم ولا منفصلة، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، هو والعدم سواء، والمشرك مقر بالله لكن عَبَدَ معه غيره، فهو خيرٌ من المعطل للذات والصفات»[1].

والجهمية والمعتزلة معطلة؛ فالجهمية نفوا الأسماء والصفات لله، فلا يثبتون لله اسمًا ولا صفةً هكذا يقول غلاتهم، وأما المعتزلة فيثبتون أسماء بلا معانٍ، فيقولون: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وقدير بلا قدرة، تعالى الله عن قولهم علوًّا عظيمًا.

قوله: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ).

التكييف: تعيين كُنه الصفة وكيفيتها، وهو مما استأثر الله بعلمه، فلا سبيل إلى الوصول إليه؛ إذ الصفة تابعة للموصوف، فكما لا يعلم كيف هو إلا هو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨).

سبحانه وتعالى، فكذلك صفاته لا يعلم كيف هي إلا هو سبحانه وتعالى، فلا يعلم كيفية صفاته غيره سبحانه وتعالى، ولا يُقاس بخلقه.

قوله: (وَلَا تَمْثِيلٍ).

التمثيل هو التشبيه، فالشبيه والمثيل والنظير ألفاظ متقاربة، فلا نمثّل صفاته سبحانه بصفات خلقه؛ فإنه لا مثيل له ولا شبيه له ولا نظير له لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وخلاصةُ هذا: أن أهل السنة بريئون من هذه الانحرافات كلِها في أسماء الله وصفاته بل يثبتون ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله وعظمته وكماله من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قوله: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لهُ، ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ)، **قوله:** (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قرّر هنا أن من أصول أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من

غير تحريف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تكييف، كالسمع والبصر والمجيء والكلام والنزول والحب والبغض، فكلها حق وما دلّت عليه حق، كما أخبر الله ﷻ وأخبر رسوله ﷺ، ويُصدّقون بالخبر، ويؤمنون به على وجه الكمال، ويَكِلُون الكيفية إلى الله ﷻ.

وأهل السنة يؤمنون أن الله سبحانه لا مِثْلَ له في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على المشبهة والممثلة، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة النفاة.

قوله: (فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ) ووصفه به رسوله، بل يثبتون له الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله، وينفون عنه مشابهة المخلوقات.

فأهل السنة رضوا لربهم ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وكذلك رسله أعلم بالله، وأصدق، وأنصح من جميع الخلق، وأقدر على البيان والتبليغ، وقد سار على منهاجهم أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان، والخير في اتباعهم.

وخيرُ الأمورِ السالفاتِ على الهدى الهدى وشرُ الأمورِ المحدثات البدائع

وأما أهل البدع فإنهم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونفوا أسماء الله وصفاته زعمًا منهم أن إثباتها يقتضي التشبيه أو التجسيم ووقعوا في شرٍ مما خافوه، فضلّوا عن الصراط المستقيم، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.

وما عِوضٌ لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الأمين

قوله: (وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لهُ، ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى).

هذه طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته، فهم بريئون مما وقع فيه أهل الكلام من تحريف نصوص الأسماء والصفات، بل يُجرُونَها على ظاهرها على وجه الكمال، كما نطق بها الكتاب والسنة.

فهم بريئون من تحريف نصوص الأسماء والصفات، أو الإلحاد فيها، أو تكييفها، أو تمثيلها، ولا يميلون عن الحق الذي دلَّت عليه، بل يعتقدون أن الله سبحانه لا سَمِي له، ولا كُفْء له، ولا نِدَّ له.

وهم بريئون من الإلحاد فيها، وهو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت لها.

وهم بريئون من تكيِّيفها، فهم يعتقدون أنها صفات حقيقية تليق بجلال الله وعظمته، أما كيفيتها فهو مما استأثر الله بعلمه، فلا سبيل إلى معرفته.

وهم بريئون من تمثيل صفاته بصفات خلقه.

لأنه سبحانه لا سمي له ولا نظير له، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: مثيلًا أو شبيهًا.

ولأنه سبحانه لا يُقاس بخلقه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فلا يُقاس بخلقه لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله.

أسماؤُهُ أوصافُ مدحٍ كُلُّهَا ... مشتقةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لمِعَانِ
إيَّاكَ والإلحادَ فيها إنَّهُ ... كفرٌ معاذَ اللهِ مِنْ كفرانِ
وحقيقةُ الإلحادِ فيها الميـ ... ـلُ بالإشراكِ والتعطيلِ والنكرانِ
فالملحدونَ إذًا ثلاثُ طوائفٍ ... فَعَلَيْهِمُ غضبٌ مِنَ الرحمنِ

قوله: (فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ).

ولأجل هذا كان الإيمان بما جاء عن الله على مراد الله هو الإيمان الواجب، ووصفُ اللهِ بما جاء عن الله ورسوله ﷺ هو الحق الذي لزمه أهل السنة؛ لأن الله أعلم بنفسه وبغيره من كل أحد، وقوله أصدق قول، وحديثه أحسن حديث ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

فلا يوجد كلام أحسن تفسيرًا وأتم بيانًا من كلام الله سبحانه، فآيات الصفات واضحة المعاني لا لبس فيها ولا إشكال، ولأجل ذلك لم يستشكلها الصحابة والسلف الصالح لإيمانهم بها على ظاهرها على مراد الله ورسوله.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»(١).

قوله: (ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون).

فالرسل صادقون فيما بلّغوا عن الله، فلا يصح لأحدٍ قولٌ ولا عملٌ إلا

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٧)، مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٤).

باعتقاد صدقهم وأمانتهم، وأنهم بلّغوا البلاغ المبين بأبلغ عبارة وأوضح أسلوب مع الشفقة التامة، ولم يَكتموا شيئًا مما بُعِثُوا به، وأعظم أمر جاءوا به توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وكلامهم في هذا الباب من أوضح الكلام ليس فيه أحاجي ولا ألغاز، وكلام الله ورسوله في هذا كافٍ شافٍ مغنٍ موصل للحق بأخصر عبارة وأوضح بيان.

وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ» واللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧][(١)].

قوله: (بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ).

من أهل الأهواء والبدع، فيقولون على الله في شرعه ودينه وأسمائه وصفاته ما لا يعلمون، بل بمجرد عقولهم الفاسدة، وتخيلاتهم الكاسدة، وأذواقهم المنحرفة، ويُقَدِّمون هذا على ما جاء في الكتاب والسنة.

فعلى العبد أن يعرف ممن يأخذ دينه وبمن يقتدي، أيقتدي بالكتاب والسنة وسلف الأمة، أم يقتدي بمن قدَّم العقول على النقول، وبمن اغتر بآراء الرجال وقدَّمها على ما جاء به الرسول ﷺ؟ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالِّين.

(١) رواه البخاري (٤٦١٢) واللفظ له، ومسلم (١٧٧) من حديث عائشة ﵂.

قوله: (وَلِهَذَا قَالَ سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ).

فالحق ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، وما جاؤا به علمًا وعملًا واعتقادًا، وكل ما خالف ذلك من أقوال الرجال واصطلاحاتهم وأفكارهم فهو مردود على صاحبه كائنًا من كان.

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ).

فالله سبحانه قد جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، فأثبت لنفسه أشياء ونفى عنه أشياء، وكل ما نفاه وأثبته دليل على كماله وعظمته سبحانه.

فنفى عن نفسه كل صفة نقص، كالنوم والسنة والعجز والموت والنسيان والظلم وغيرها، كقوله سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ [طه: ٥٢]، فلا يوصف الرب بشيء من النقائص، ولا بشيء من خصائص المخلوقين، وكل ما كان من خصائص المخلوقين فلا بُدَّ أن يكون فيه نقص كحاجتهم إلى الطعام والشراب والنكاح والشراكة، فالرب منزه عن ذلك.

وأثبت لنفسه صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالعلم، والحياة، والكلام، والغنى، والقدرة، والرحمة، والسمع، وغيرها.

وبهذا جاءت الأدلة، فالله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي[١].

وكل ما نفى الله عن نفسه من النقائص يتضمن إثبات ضده على وجه الكمال؛ لأن النفي المحض ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا لكمال ضده، وعلى هذا سارت نصوص الوحيين، فنفي الموت يتضمن إثبات الحياة على وجه الكمال، ونفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية، وهكذا.

وطريقة أهل السنة في النفي الإجمال، ليس كمثله شيء.

وفي الإثبات التفصيل: فأثبتوا لله السمع، والبصر، والكلام، والقدرة، واليد، والقدم، والنزول، والرضا، والغضب، والرحمة، والاستواء، وغيرها، كما جاء في الكتاب والسنة وعلى ما يليق بعظمة الله وكماله.

فطريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها في النفي الإجمال، وفي الإثبات التفصيل، كما جاء في الكتاب والسنة.

وفي القرآن يخبر الله أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، وأنه سميع بصير، وأنه على عِظم ذاته يحب المؤمنين، ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار ويسخط عليهم، وأنه استوى على العرش، وأنه كلَّم موسى، وأنه تجلى للجبل فجعله دكًّا، وأمثال ذلك.

ويقول في النفي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، هذه طريقة الرسل ومن تبعهم من سلف الأمة وأئمتها.

وأما من خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم فقد عكسوا القضية فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، فقالوا في النفي: ليس يقرب من شيء ولا يقرب

---

(١) انظر: القاعدة الأولى في التدمرية (ص٥٧).

منه شيء، ولا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام، ولا حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا يُشار إليه، وليس داخل العالم ولا خارجه، إلى غيرها من العبارات السلبية التي لا تنطبق إلا على المعدوم.

قوله: (فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ).

فأهل السنة لا ينحرفون عما جاء به المرسلون من الدين في عقائدهم وعباداتهم، بل هم مقتفون آثارهم مُصَدِّقُون بما جاؤوا به، ولذلك جعلوا الكتاب والسنة هما الأصل الذي يرجعون إليه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

وأما أهل البدع والأهواء فسلكوا سبيل أعداء الرسل واتبعوا الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته، فزاغوا عن الحق ووقعوا في الضلالة ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وخالفوا أمر الله ورسوله في هذا الباب فوقعوا في الفتنة والانحراف ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾).

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ).

مراده ما تقدم من القواعد الثابتة في باب أسماء الله وصفاته، فمنهج أهل السنة مُطَّرِد ومتفق في جميع ما أخبر الله به عن نفسه وما أخبر به رسوله ﷺ من الإثبات والنفي، ومن ذلك ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص، فإنها اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتحميد، واشتملت على النفي والإثبات، وليس في القرآن سورة كلها وصف للرحمن إلا هذه السورة، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن.

ففي البخاري عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآن**»(١).

قوله: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾).

في هذا إثبات الأحدية لله المتضمنة نفي كل شريك عنه، فقوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يدل على نفي النظير، وأنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾).

في هذا إثبات اسم الصمد لله تعالى، وتنوعت عبارت السلف في تفسير اسم الصمد وأقواها:

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

❑ أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، وتصمد إليه القلوب بالرغبة والرهبة.

❑ وأنه الذي لا جوف له، وكلا القولين حقٌّ، ذكره شيخ الإسلام.

فالصمد هو من اجتمعت فيه صفات الكمال، ولا جوف له، وهو يتضمن صمود كل شيء إليه وفقره إليه.

قال شيخ الإسلام: «فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك»[(١)].

قوله: (﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾).

هذه الآية الكريمة تضمنت تنزيه الله نفسه عن أن يكون له ولد، وأن يخرج منه شيء من الأشياء كما يخرج من غيره من المخلوقات، وهذا من تمام معنى الصمد، وتنزيهه عن أن يولد، وفي هذا رد على من زعموا أن عُزَيْرًا ابن الله، أو المسيح ابن الله، أو الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قوله: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾).

وهذه تضمنت نفي الشركاء والأنداد، وفيها رد لكل من جعل شيئًا يزعم أنه كفؤ لله سبحانه، وتدل على نفي النظير وأنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٣)، شرح حديث النزول (ص٢٤-٢٥)، بيان التلبيس (٣/ ٤٦٢)، التدمرية (ص١٤٢).

قوله: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (أي لا يكرثه ولا يثقله».

أي: ويدخل فيما سبق من القواعد في إثبات أسماء الله وصفاته، ما وصف به نفسه في آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن، كما روى مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ابن كعب رضي الله عنه: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»(١).

ولا غرو في هذا فليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي من الصفات العظيمة والمعاني الجليلة، وقد تضمنت عشر جمل جليلة.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾).

تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات إنفراد الله بالألوهية ونفيها عما سواه.

قوله: (﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾).

فيها إثبات اسمي: الحي والقيوم، فالحي من أسماء الله، والحياة من

(١) رواه مسلم (٨١٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه.

صفاته.

والقيوم من أسماء الله، وصفة القيومية ثابتة له سبحانه، **ومعنى القيُّوم**: القائم بنفسه المقيم لما سواه.

واسمه الحي القيوم يجمع أصل معاني الأسماء والصفات، ولهذا كان النبي ﷺ إذا اجتهد في الدعاء توسل بهما في دعائه، وأخبر أن هذا هو الاسم الأعظم، ولشيخ الإسلام رسالة في معنى (الحيّ القيوم)(١).

وله الحياةُ كمالُهَا فلأجلِ ذَا ما للمَماتِ عليهِ مِنْ سلطانِ
وكـذلـكَ القَيُّومُ مِنْ أوصافهِ ما للمنامِ لديْهِ مِنْ غَشَيَانِ
وكذاكَ أوصافُ الكمالِ جميعُهَا ثبتـتْ لهُ ومدارُهَا الوَصْفَانِ

قوله: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾).

نفى عن نفسه السِّنة وهو النعاس، والنوم، وهذا يتضمن كمال الحياة والقيومية.

قوله: (﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾).

في هذا إثبات تمام ملكه، وأنه مالك لما في السموات وما في الأرض، ولا يوجد له شريك في ذلك، بل هو المنفرد بالملك والتصرف والتدبير ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

---

(١) جامع المسائل- المجموعة الأولى (ص٣٧).

قوله: (﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾).

أي: لا يقدر أحد أن يشفع عنده لأحد مهما بلغ صلاح الشافع إلا إذا أذن له الرب؛ لعظمة الله وكبريائه، وفي حديث الشفاعة يوم القيامة إذا جاء الرسول ﷺ فيخر ساجدًا تحت العرش ولا يبدأ بالشفاعة أولًا، بل قال: «**فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي**»(١) متفق عليه.

قوله: (﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾).

في هذا دليل على سعة علم الله، فلا يخفى عليه شيء، يعلم ما قدَّمه العباد من أعمال، وما يعملونه في الحاضر، وما ينتظرهم في المستقبل، ولا تخفى عليه خافية ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩].

قوله: (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾).

أي: لا يحيط الخلق بشيء من علمه، ولا يعلمون شيئًا مما عنده إلا ما علَّمه إياهم، فما توصل إليه البشر من العلوم ما هو إلا قليل مما عنده، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وكما قال الخضر لموسى عليه

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السلام: «**مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ**»(١) متفق عليه.

والخلق مهما بلغ علمهم لن يحيطوا بعلم شيء إلا بقدرة الله، فكم من الأمور اجتهدوا في الوصول إليها ولكن لمَّا لم يشأ الله لم يقدروا على ذلك، كما قالت الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

قوله: (﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾).

في هذا إثبات سعة وعظمة كرسيه سبحانه وتعالى، والكرسي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

«**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ**»(٢) رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي هذا دلالة على عظمة الرب جل وعلا حيث وسع كرسيه السماوات والأرض.

قوله: (﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾).

أي: لا يثقله ولا يُكرِثُهُ حِفظ السموات والأرض ومن فيهما وما بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والأشياء

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) رواه الحاكم (٣١١٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٤٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٦٩) موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني في مختصر العلو (ص١٠٢).

كلها متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد الفعال لما يريد.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾).

ختم الله هذه الآية بهذين الاسمين الدالين على أن الله له العلو المطلق: علو ذات وعلو قهر وعلو قدر، وله العظمة المطلقة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وله العُلُوّ مِنَ الوجوهِ جميعِهَا ذاتًا وقهرًا مع عُلُوِّ الشَّانِ

قوله: (ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح).

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري لما وكَّله الرسول ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب، فيطلقه، فقال له في المرة الثالثة: دعني أعلمك ما ينفعك، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب**» وأخبره أنه شيطان[1].

وهذا دليل على فضل آية الكرسي وعظيم منفعتها وتأثيرها العظيم في التحرز من الشيطان؛ وذلك لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف، فإذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾).

الشاهد منها: إثبات أنه الحي الذي لا يموت، وبهذا وصفته الرسل، فإن الحياة صفة كمال والموت صفة نقص.

وفي الآية أمر بالتوكل على الله، والنصوص كثيرة في هذا، والتوكل هو صدق الاعتماد على الله في جلب ما ينفع ودفع ما يضر.

وخرج الترمذي وصححه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١).

والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، وقد خرّج الترمذي عن أنس أن رجلًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»(٢).

قال الترمذي: «غريب»، ونقل تضعيفه عن يحيى بن سعيد القطان.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤) من حديث عمر رضي الله عنه.
صححه الترمذي، والحاكم (٧٨٩٤)، والضياء في المختارة (٢٢٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٢٠) (٣١٠)، وحسّنه البغوي في شرح السنة (٤١٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
قال الترمذي: «وهذا حديث غريب من حديث أنس»، قال عمرو بن علي: قال يحيى القطان: «وهذا عندي حديث منكر». وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨).
وقد جاء من حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه: صححه ابن حبان (٧٣١)، والحاكم (٦٦١٦)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (ص١٦٤٠): «ورواه ابن خزيمة في التوكل، والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد».

قال ابن القيم: «أجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد»(١).

(وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾).

وفي هذه الآية إثبات هذه الأسماء الأربعة لله تعالى، وأحسن ما تُفَسّر به ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(٢).

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة، فاسمان لأزليته وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

فأوليته وأزليته وكونه سابق على كل أحد في الأولية قوله: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**».

وآخريته ثابتة له بعد آخرية كل ما سواه «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**».

والظاهر: هو العالي المرتفع الذي ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء.

والباطن: دليل على قربه وإحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه.

فمن قربه: إحاطته العامة بخلقه، ومن هذا الباب قول النبي ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا**

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(١) رواه مسلم، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال ابن القيم: «فأولية الله سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»(٢).

[إحاطَةُ عِلمِهِ بجَميعِ مخلوقَاتِهِ]

(قوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، قوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾).

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفتي العلم والحكمة لله سبحانه.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) طريق الهجرتين (ص٢٤).

قوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فيها إثبات صفة العلم لله سبحانه على أتم الوجوه وأكملها، وأدلة إثباتها في القرآن والحديث والآثار لا تُحصى، **فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون**، أحصى كل شيء عددًا، يعلم أوزان الجبال، وحبات الرمال، ودورات الزمان، وأمواج البحار، وقطرات الأمطار، وأنفاس بني آدم ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ويعلم الواجبات والممكنات والممتنعات.

فيعلم نفسه الكريمة وصفاته العظيمة ونعوته العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها.

ويعلم الممكنات التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد، وما لم تقتض الحكمة إيجاده، وقد أحاط علمه بجميع الأزمان الماضية والحاضرة والمستقبلة.

ويعلم الممتنعات حال امتناعها، وما يترتب على وجودها لو وجدت، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وأدلة هذا في الكتاب والسنة والآثار كثيرة يشق حصرها، قال ابن القيم:

وهو العليمُ أحاطَ عِلْمًا بالذي ... في الكونِ مِنْ سرٍ ومِنْ إعلانِ
وبكلِّ شيءٍ علمهُ سبحانهُ ... فَهُوَ المحيطُ وليس ذا نِسْيَانِ
وكذاك يعلمُ ما يكونُ غدًا وما ... قدْ كانَ والموجودَ في ذا الآنِ
وكذاك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ ... ـفَ يكونُ ذا إمكانِ

وقال آخر:

وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرّ   فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ   بِسَمْعِهِ الواسع للأصوات
وعلمه بِمَا بَدَا وَمَا خَفِيْ   أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِيْ

■ **وقد ضل في إثبات هذه الصفة العظيمة فِرقٌ أبرزها فرقتان:**

الأولى: غلاة القدرية الذين ينكرون علم الله، ويزعمون أنه سبحانه لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها، وهذا القول اتفق على بطلانه علماء المسلمين وكفَّروا قائله، والكتاب والسنة مع الأدلة العقلية تبين فساده.

الثانية: الفلاسفة حيث زعموا أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وهذا كذب وضلال، وهو من أخبث الأقوال وأشرها، ولم يقل به أحد من طوائف الملة.

ومما يُبيّن كذبهم وضلالهم أن القرآن فيه إخبار الله بالأمور المفصلة عن الشخص وكلامه وفعله المعين، مثل: قصة آدم ونوح وهود وصالح وموسى وغيرهم، وإخبار ما جرى للأنبياء مع قومهم على وجه التفصيل.

وكذلك إخباره أنه يعلم السر وأخفى، وأنه عليم بذات الصدور، وأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾).

الصفة الثانية التي دلَّت عليها هذه الآيات صفة الحكمة، والله تعالى موصوف بالحكمة، فله سبحانه الحكمة الباهرة في خلقه وشرعه وقَدَرِه، وقد

دلَّ على هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في مواضع لا تكاد تحصى، وأجمع عليه المسلمون.

وتفاصيل حكمة الله في خلقه وأمره تعجز عن معرفتها عقول البشر، فيكفي الخلق العلم العام والإيمان التام بأن الله لا يُقَدِّر أمرًا إلا لحكمة، ولم يشرع أمرًا إلا لحكمة، يعلم الخلق بعضها ويجهلون بعضها.

وقد ضلَّ في هذه الصفة طوائف، منهم: الجهمية، والأشعرية.

فنفي الحكمة والتعليل أمر خطير، وقد رد عليهم أهل السنة بمجيء ذلك في النصوص.

وهُوَ الحكيمُ وذاكَ مِنْ أوصافهِ ... نوعانِ أيضًا ما هما عَدَمَانِ
حُكْمٌ وإِحْكَامٌ وكلٌ مِنْهُمَا ... نوعانِ أيضًا ثابتَا البرهانِ

(وقوله سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾).

في هاتين الآيتين إثبات قدرة الله تعالى وقوته، فهو القوي المقتدر، وهاتان الصفتان معناهما متقارب، وقد اتفق المسلمون على أن الله على كل شيء قدير.

فصفة القدرة ثابتة لله سبحانه كما يليق بجلاله، فجميع الأشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته، لا يعجزه شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وصفة القوة ثابتة لله على أكمل الوجوه كما يليق بجلاله، فقوته لا يعتريها ضعف وقدرته لايعتريها نقص:

وَهُوَ القديرُ فليسَ يُعْجِزُهُ إذَا ... ما رام شيئًا قَطُّ ذُو سلطانِ
وَهُوَ القويُّ له القُوَى جمعًا تعا ... لى رَبُّ ذي الأكوان
وَهُوَ القديرُ فكلُّ شيءٍ فَهْوَ مقد ... ورٌ لهُ طوعًا بلا عصيانِ

والذي عليه أهل السنة أن الله تعالى على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، فكل ما يصلح أن يكون شيئًا فهو عليه قدير، وأما الممتنع المحال لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا، فهذا لا حقيقة له ولا يُتصور وجوده، ولا يسمى شيئًا باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مِثْل نفسه، وأمثال ذلك، فالممتنع لنفسه غير داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾).

فيه إثبات أنه سبحانه الرَّزَّاق، وأنه سبحانه المتين.

أما الرَّزَّاق فهو الذي تكفَّل بأرزاق الخلائق، وأعطاهم أقواتهم، وساقها إليهم، فما من دابة في بر ولا بحر إلا والله رازقها، كما قال سبحانه: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وأما المتين فمعناه الشديد القوي.

فهو القوي التام القدرة لا يُنسب إليه عجزٌ في حال من الأحوال.

ويدخل في قيامه بأرزاق عباده: الرزق الحسي، وهو المآكل والمشارب وحوائج البدن والمال والأولاد ونحوها، **والرزق الذي هو الهداية للإيمان** والعلم والعمل، وهو رزق القلوب الذي أجراه على يد رسوله ﷺ وورثته.

وكذلكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أسمائهِ ... والرِّزْقُ مِنْ أفعالهِ نوعانِ
رِزْقٌ على يدِ عبدهِ ورسولهِ ... نوعانِ أيضًا ذانِ معروفانِ
رِزْقُ القلوبِ العلمَ والإيمانَ والـ ... ـرِّزْقُ المُعَدُّ لهذهِ الأبدانِ
هذا هُوَ الرِّزْقُ الحلالُ وربُّنا ... رَزَّاقُهُ والفضلُ للمَنَّانِ
والثانِ سَوْقُ القُوتِ للأعضاءِ في ... تلكَ المجاري سَوْقَهُ بوزَانِ
هذا يكونُ مِنَ الحلالِ كما يكو ... نُ من الحرامِ كلاهما رِزْقَانِ

[إثبَاتُ السَّمع والبَصَرِ للهِ سبحانهُ]

(قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

في هاتين الآيتين إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه حقيقةً، كما يليق بجلال الله وعظمته، كما هي القاعدة عند أهل السنة، فلا نجحدها ولا نُؤولها بالعلم، وقد دلَّ الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أن الله سميع بصير.

فالله سبحانه يسمع ويبصر لا تختلط عليه الأصوات، ولا تشتبه عليه اللغات، ولا يخفى عليه شيء سبحانه، يبصر ويرى كل شيء، فكل ما خلقه الله جل وعلا فإنه يراه لا تخفى عليه خافية:

وَهُوَ السميعُ يرى ويسمعُ كُلَّ مَا ... في الكونِ عاليهِ مع التحتاني
ولكلِّ صوتٍ منهُ سَمْعٌ حاضرٌ ... فالسِّرُّ والإعلانُ مستويانِ

والسمعُ منهُ واسعُ الأصواتِ لا يخفى عليهِ بعيدُهَا والدَّاني
وهُوَ البصيرُ يرى دَبِيبَ النملةِ السَّـ ـوداءِ تَحْتَ الصَّخْرِ والصَّوَّانِ
ويرى مجاري القُوتِ في أعضائها ويرى عروقَ نِيَاطِها بعِيَانِ
ويرى خياناتِ العيونِ بلَحْظِهَا ويرى كذاكَ تَقَلُّبَ الأجفانِ

ومعنى سمع الله وبصره الذي يثبته أهل السنة والجماعة ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات، فإن الله فرَّق بين العلم وبين السمع والبصر، وفرَّق بين السمع والبصر، وهو لا يفرق بين علم وعلم لمجرد تنوع المعلومات، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقوله في موضع آخر: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧]، فدلَّ على إثبات صفتي السمع والبصر، وأنهما غير صفة العلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨] ويضع إبهامه على أذنه، وسبابته على عينه، ويقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه»(١) رواه أبو داود، وصححه الحاكم، وابن حبان.

وعَمَلُ النبي ﷺ هذا دليل على إثبات هاتين الصفتين، وأنهما غير صفة العلم، وإلا لأشار إلى صدره، ووضعه أصابعه تحقيقًا لصفة السمع والبصر، وأنهما حقيقة لا مجازًا خلافًا لأهل البدع.

ولا ريب أن مقصوده ﷺ من وضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه تحقيق

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
صححه ابن حبان (٢٦٥)، والحاكم (٢٩٢٥)، وقال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٥٥): «وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه»، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٧٣): «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم».

الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق، فلو كان السمع والبصر: العلم، لم يصح ذلك، وبهذا يتبين خطأ من أوَّل هاتين الصفتين بالعلم، **فعلى العبد إثبات ذلك لله، وأن يتعبد الله بها.**

قالت عائشة رضي الله عنها: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ المُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١]»[1]. رواه الإمام أحمد، والنسائي، وأصله في البخاري.

فيسمع دعاء الداعين، وكلام المتكلمين، وتلاوة التالين، ونطق العاصين، ويراهم ثم يوم القيامة تُوفَّى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨- ٢٢٠].

[إثبَاتُ المَشيئةِ والإرادةِ للهِ سبحانَهُ]

(وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ

(١) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم- كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، ووصله النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وأحمد (٢٤١٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. صححه الحاكم (٣٧٩١)، وابن الملقن في البدر المنير (٨/ ١٤٥)، وابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٣٣٩).

يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة الإرادة والمشيئة لله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما وجد فهو بمشيئته وإرادته، ومشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الخالق، لا رادّ لمشيئته سبحانه، ولا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وهذا يبطل قول المعتزلة أن الله شاء الطاعة ولم يشأ المعصية، والأدلة على بطلان قولهم كثيرة جدًّا.

■ **والإرادة في كتاب الله نوعان كلاهما ثابتة لله سبحانه:**

الأول: إرادة كونية قدرية: وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، وهي مشيئته لما خلقه، والمشيئة الكونية هي المقارنة للقضاء والقدر، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته، فالله أراد كونًا أن ينقسم الناس إلى مسلمين وكفار، وأن يمرض فلان ويصح فلان، ويُفْقَرُ أقوامٌ ويُغْنى آخرونَ، وكل هذا لحكمة بالغة يخفى علينا كثير منها.

الثاني: إرادة شرعية دينية: وهذه تتضمن محبته ورضاه، فالإرادة الشرعية لا تتعلق إلا بالطاعات، وهي المقارنة للأمر والنهي، فأراد من الناس الإيمان بالرسل وأن يفعلوا الطاعات، ومثله: قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ﴾ [النساء: ٢٦].

فالإرادة الشرعية تختص بما يحبه ويرضاه، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية، وأما الإرادة الكونية فهي التقدير العام على الخلق، وقد قدَّر وقوعه، وانقسام الناس إلى فريق في الجنة وفريق في السعير.

والفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

أن الإرادة الكونية لا بُدَّ من وقوع ما أراده، وأما الشرعية فلا يلزم وقوعه.

والإرادة الكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه، وأما الشرعية فتختص بما يحبه.

فلو قيل: كيف يريد الله كونًا ما لا يحبه، كالكفر والفسوق؟

فالجواب: أن حصول هذا وإن كان مكروهًا عند الله شرعًا إلا أن وقوعها لحكمة بالغة قدَّرها الله، ومع هذا فقد بيَّن الله السبيل، وأقام الحجة، وأوضح طرق مراضيه ومساخطه، فما وقع على العباد من إرادته الكونية وقع بعدله سبحانه وحكمته.

ولو قيل: ما الحكمة من تقدير السيئات مع كراهته سبحانه لها، وهل يأتي المكروه بمحبوب؟

فنقول: اعلم - وفقنا الله وإياك - أن الواجب على العبد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والتسليم لأقداره، واليقين بعدله وحكمته، والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة الله وسائر أسمائه وصفاته إلا ما عَلَّمَنَاهُ جل وعلا.

والسيئة لذاتها ليست محبوبة لله ولا مرضية، كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨]، ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به.

إما في حق فاعلها: كالتوبة والإنابة، والإذعان والاعتراف بقدرة الله عليه، والخوف من عقابه، ورجاء مغفرته، ونفي العُجْب المحبط للحسنات عنه، ودوام الذل والانكسار، وملازمة الاستغفار، وغيرها من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب ﷻ التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء، وفي

صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(١).

وقد يترتب عليها فرائض من الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض الله تعالى، والجهاد في سبيله الذي هو ذِروة سنام الإسلام، وكل هذه الأمور لا تكون إلا بوجود المخالفين.

مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالْإِرَادَهْ ... وَحَاكِمٌ -جَلَّ- بِمَا أَرَادَهْ
فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ ... وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ ... وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا ... يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

[إثباتُ محبَّةِ اللهِ ومودَّتِهِ لأوليائِهِ على ما يليقُ بجلالِهِ]

(قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، قوله: ﴿إِنَّ

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾، قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة المحبة لله سبحانه، وأهل السنة والجماعة يثبتونها على حقيقتها كما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون أن الله يُحِب عباده المتقين والمحسنين والتوابين، وهذا هو الذي جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وعليه علماء المسلمين أن الله يُحِب ويُحَب، يُحِب المؤمنين ويُحِبه المؤمنون، وقد ذكر الشيخ الأدلة على صفة المحبة من القرآن، وأما الأدلة من السنة فكثيرة، ومنها: ما في البخاري أن الرسول ﷺ قال: قال تعالى: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ...**»[(١)].

وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[(٢)].

فأهل السنة والجماعة يثبتونها على ما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يمثلونها، أو يعطلونها، أو يحرفونها، أو يكيفونها.

■ **والمخالفون للسلف في صفة المحبة طائفتان:**

الأولى: المنكرون لها وهم الجهمية: حيث أنكروا أن الله يحب عباده أو يحبه عباده، فأنكروا حقيقة المحبة من الجهتين، وأنكروا أن يكون الله يحب المؤمنين أو اتخذ إبراهيم خليلًا.

الثانية: من حرَّفها وأوَّلها: وهذا قول الأشاعرة.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

فقالوا: المحبة إرادة الأنعام أو الإحسان إليه، وهذا مذهب باطل وتحريف للآية عن موضعها.

وأول من أنكر حقيقة المحبة: الجعد بن درهم، وهو أول من ابتدع هذا في الإسلام في أوائل المائة الثانية فضحَّى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق، خطب الناس يوم الأضحى فقال: الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحي بالجعد ابن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل وذبحه، وأخذ هذا المذهب عنه الجهم بن صفوان، فأظهره، فقتله الأمير سلم بن أحوز.

ولأجلِ ذا ضَحَّى بجَعْدٍ خالدُ الـ قَسْرِيُّ يومَ ذبائحِ القربانِ
إذ قال: إبراهيمُ ليسَ خليلهُ كلَّا ولا موسى الكليمَ الدَّانِي
شكرَ الضحيَّةَ كلُّ صاحبِ سُنَّةٍ لله دَرُّكَ مِنْ أخي قُرْبَانِ

والمحبة من الصفات الفعلية الاختيارية، وكل ما يتعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية.

■ **وذكر بعض أهل السنة فهمًا من النصوص أن صفات الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أنواع:**

الأول: صفات ذاتية: وهي ما يتصف الله بها أزلًا وأبدًا، كصفة الحياة والعلم والغنى والقوة والحكمة.

الثاني: صفات فعلية: وهي كل صفة متعلقة بالمشيئة، فهي صفة فعلية اختيارية يفعلها متى شاء سبحانه، كمحبته واستوائه ونزوله ومجيئه ورضاه وغضبه.

الثالث: ذاتية وفعلية: مثل: صفة الكلام لله سبحانه، فالله متصف بصفة الكلام أزلًا، وهو أيضًا يتكلم إذا شاء متى شاء.

وهذا التقسيم يذكره بعض أهل السنة فهمًا من النصوص، ولم يكن مشهورًا عن السلف في عهد الرسول ﷺ والصحابة، بل كانوا يثبتون ما دلّت عليه الأدلة من غير أن يفرّقوا بين صفة وأخرى، وهذا الأَوْلى، لكن لو احتاج المسلم إلى هذا التقسيم فله حظ من النظر، والله أعلم.

ذكر في هذه الآيات عددًا من الأوصاف التي يحب الله أهلها، فعلى العبد أن يجتهد في الفوز بمحبة الله؛ لأن هذا غاية الأماني وأسمى المطالب أن يحبك الله، ولذلك أعمال وأسباب، منها: أن تنظر مَنْ وصفهم الله فتقتدي بأفعالهم، وهم المتقون، والمحسنون، والمقسطون، والتوابون، وأتباع الرسول ﷺ، وغير ذلك من أعمال البر التي يحبها الله سبحانه.

[إثباتُ اتِّصافِهِ بالرَّحمةِ والمغفرةِ سبحانهُ]

(وقوله سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾، قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى، وهي صفة من صفات الله اللائقة بجلاله وعظمته، فيجب أن يوصف بها كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، والنصوص في إثباتها من الكتاب والسنة كثيرة،

ورحمة الله واسعة، ورحمته سبحانه عامة وخاصة.

فالرحمة العامة: يشترك فيها المسلم والكافر، فما يصل للكافر من رزق وصحة ونحوه هو برحمة الله.

والرحمة الخاصة: يُخص بها المؤمنون، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وضلَّ في هذه الصفة طوائف من أهل البدع، فمنهم: من جحد هذه الصفة ولم يثبت صفة الرحمة لله سبحانه.

ومنهم: من حرَّف ما دلَّت عليه، فزعموا أن معنى الرحمة: إنعام الله على عباده، أو إرادة الإنعام، وكل هذا تأويل بلا دليل، بل تُثبت صفة الرحمة لله على ما يليق بجلال الله وعظمته.

والفرق بين اسم الرحمن والرحيم: أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم.

فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]. ولم يجئ قط رحمن بهم، فاعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته.

وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. فالعبد لا يستوجب على الله بسعيه نجاةً ولا فلاحًا، ولا يدخل أحدٌ الجنةَ بعملِهِ ولكن هذا الحق كتبه اللهُ على نفسه تفضلًا وعدلًا ولم يُوجبه عليه أحدٌ، وكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاقُ إنعام وفضل، وليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ الشَّكُورُ فلنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ   لكنْ يُضَاعِفُهُ بلا حُسْبَانِ
ما للعبادِ عليهِ حقٌّ واجبٌ   هُوَ أوجبَ الأجرَ العظيمَ الشَّانِ
كلَّا ولا عملٌ لديهِ ضَائِعٌ   إن كان بالإخلاصِ والإحسانِ
إن عُذِّبُوا فبِعَدْلِهِ أو نُعِّمُوا   فبفضلهِ سبحانَ ذي السلطانِ

(قوله: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]).

أفادت هذه الآية إثبات صفة الرضا، وأهل السنة يثبتونها لله، وأنه يرضى عمن يشاء، ورضاه كما يليق بجلاله وعظمته.

وقد أنكر هذه الصفة طائفة من المبتدعة، وزعموا أن الرضا هو إرادة الإحسان، وهذا نفي للصفة، وصرفٌ للقرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب، وهذا لا يجوز.

وفي هذه الآية وصف المؤمنين بأنهم رضوا عن الله واطمأنت قلوبهم لقضائه وأمره وثوابه، ورضي عنهم، ففيه فضيلة الرضا عن الله، وأنه من أجَلِّ الأمور.

والرضا: هو أن يُسَلِّمَ العبدُ أمره إلى الله، ويُحسن الظن به، ويَرضى عنه في ثوابه.

■ **والأمور التي يُؤْمَر العبد بالرضا بها ثلاثة أقسام**:

الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله.

فالرضا بالله ربًّا فرضٌ.

والرضا عن الله وإن كان من أجلِّ الأمور وأشرفها، إلا أنه لم يُطالب به

عموم الناس؛ لعجزهم عنه ومشقته عليهم.

والرضا بقضاء الله، وهذا يختلف باختلاف المقضي.

فالمقضي الديني يجب الرضا به، وهو أحكام الشرع وأوامره، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

والمقضي الكوني القدري: إن كان فقرًا أو مرضًا ونحوه اسُتحب الرضا به.

وإن كان المقضي كفرًا أو معصيةً حرم الرضا به، ولزمه أن يكرهه ويدافعه؛ لأن الله سبحانه لا يرضى به ولا يحبه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: ٧].

وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله، فالرضا به واجب.

قال شيخ الإسلام في تائيته:

فنرضى من الوجه الذي هو فعله ونسخط من وجه اكتساب بحيلتي

وقال السفاريني: في الدرة المضيئة:

وليس واجبٌ على العبدِ الرضا بكل مقضي ولكنْ بالقضا

❊ ❊ ❊

[ذِكرُ غضَبِهِ سبحانه وسَخَطِهِ وكراهيتهِ وأنَّهُ مُتَّصِفٌ بذلكَ]

(قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾، قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾، قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، قوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة الغضب، والسخط، والأسف، والكره، والمقت له سبحانه، وهي صفات يثبتها أهل السنة والجماعة لله كما يليق بجلال الله وعظمته كما ورد في الكتاب والسنة، وشواهد القرآن والسنة دالة على إثبات ذلك لله سبحانه وتعالى.

والغضب والسخط والمقت والكره المثبت لله لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

فالغضب على من يستحقه من القادر على عقوبته صفة كمال.

قال شيخ الإسلام: «والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاؤوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة ويرضاها، ويسخط بعض الأمور ويمقتها، وأن أعمال العباد تُرضيه تارة وتُسخطه أخرى، كما في

الآيات المتقدمة»[١].

وقد أنكر هذه الصفات طوائف من المبتدعة، فبعضهم أنكرها مطلقًا، وبعضهم حرَّفها فزعم أن السخط والغضب إرادة الانتقام، ولم يثبتوا الصفة، فقالوا غضبه: انتقامه، وهذا تحريف للنصوص.

وأما أهل السنة فيقولون نثبت هذه الصفات لله كما يليق بجلاله ولا نحرفها، بل نقول: الله يغضب ويسخط ويرضى ويحب كل ذلك على ما يليق بعظمته، ليس كمثله شيء.

وقد جاء في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ...**»[٢].

وروى الترمذي وصححه: «**وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فُلَانًا، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٣١٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صححه الترمذي، وابن حبان (٣٦٥)، والألباني في صحيح الجامع (٢٨٣).

[ذكرُ مجيء اللهِ لفصلِ القضاءِ بين عبادهِ على ما يليقُ بجلالهِ]

(قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾).

ذَكَرَ أربع آيات في إثبات صفة المجيء والإتيان لله يوم القيامة، والأحاديث متواترة عن النبي ﷺ وكذا الآيات كثيرة تثبت مجيء الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة، وقد حكى عثمان ابن سعيد الدارمي: اتفاق كلمة المسلمين على أن الله ينزل يوم القيامة لفصل القضاء، ولم يَشُكُّوا في ذلك، وأن الإتيان المضاف إلى الله إتيان الله بنفسه، وأهل السنة يثبتون هذا لأن الله ذكره عن نفسه، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا(١).

فنؤمن بصفة المجيء والإتيان، وأن الله يأتي يوم القيامة لفصل القضاء ويأتي لأهل الإيمان، وهذا نثبته كما يليق بجلال الله وعظمته ولا نُكيفه ولا نُمثله.

وخالف طوائف من أهل البدع في إثبات المجيء، فمنهم: من أنكره بالكلية، ومنهم: من حرّفه وقالوا: المقصود يجيء أمر الله أو ملائكته أو بعض آياته، ونفوا إثبات مجيئه سبحانه، وهذا باطل، فنثبتها كما أثبتها الله

---

(١) انظر: نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٣٤٠).

ورسوله، وأما تحريفها فهو ابتداع؛ لأن النصوص صريحة في إثبات المجيء لله سبحانه.

[إثباتُ الوجهِ للهِ سبحانهُ]

(قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾).

في هاتين الآيتين إثبات الوجه لله تعالى، والأدلة في الكتاب والسنة على ذلك كثيرة، وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»[١]، ولأبي داود عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[٢].

ومنها: إثبات نظر المؤمنين إلى الله يوم القيامة، وفي صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٣١٤): «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد»، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/ ٢٧٧): «هذا حديث حسن غريب، ورجاله موثقون، وهم من رجال الصحيح إلا إسماعيل وعقبة». وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٥).

(٣) رواه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فمذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الوجه لله تعالى، كما يليق بجلاله وعظمته، وأنه وجهٌ لا يشبه وجوه خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ضل في ذلك طوائف حيث أنكروا أن يكون لله وجهٌ زاعمين أن في هذا تشبيه له بالمخلوق، وبعضهم قال: المراد بالوجه الثواب، وهذا تحريف للنصوص.

وقد أجمع السلف على إثباته على ظاهره بلا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، وأنه على ما يليق بعظمته وجلاله، كما قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

فائدة: كل ما جاء من كلمة الوجه مضافًا إلى الله فإنه يراد به وجه الله سبحانه وتعالى هذا هو الأصل، إلا في آية واحدة اختلف المفسرون فيها، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥].

فمنهم من قال: الوجه هنا بمعنى الجهة، أي: فثم قبلة الله، وقالوا: وهذا ليس تحريفا؛ لأن الآية سيقت مساق بيان القبلة.

وبعضهم قال: المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقي، أي إلى أي جهة تتجهون فثم وجه الله سبحانه؛ لأن الله محيط بكل شيء، ولأنه ثبت عن النبي ﷺ أن المصلي إذا قام يصلي فإن الله قِبَلَ وجهه[١]، وذهب إلى هذا شيخ الإسلام في بعض المواضع[٢]، ورجّحه شيخنا ابن عثيمين[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٧٢-٨٠).

(٣) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٨٩).

[إثباتُ اليدَينِ للهِ تعالى]

(قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾).

في هاتين الآيتين إثبات اليدين لله سبحانه، وأنهما يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله وعظمته، وفي هذا مخالفة لأهل البدع الذين لم يثبتوا اليدين لله وأَوَّلُوها بالنعمة أوالقوة، وهذا تأويل فاسد، وقد ردَّ عليهم ابن القيم من عشرين وجهًا[1]، فأهل السنة مجمعون على أن لله يدين اثنتين بدون زيادة.

وقد جاء إثبات صفة اليد لله في القرآن بلفظ الجمع والتثنية والإفراد، وأهل السنة إنما يثبتون لله يدين، وهذا الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، والجمع بين النصوص كالتالي:

أولًا: أما كونها جاءت مفردة ففي قوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فهذه جاءت بالإفراد، وهي مضافة، والمفرد المضاف يفيد العموم، فتشمل كل ما ثبت لله من يد، فلا تعارض لفظ التثنية.

ثانيًا: وأما كونها جاءت بلفظ الجمع في قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، فالجمع بينها وبين الآية التي فيها إثبات يدين لله من وجهين:

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (ص٣٩١-٤٠١).

الأول: أن الجمع هنا يُراد به التعظيم، كقول الرجل: نحن وقلنا، وما أشبه ذلك، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١]. وقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزُّخرُف: ٣٢].

الثاني: أن أقل الجمع اثنان، فيصح هنا الجمعو وتوافق هذه الآية الآيات الأخرى، وبهذا يحصل الجمع ويزول الإشكال.

وأما قول الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧] الأيد هنا بمعنى القوة، وليست هنا صفة لله، وليس هذا تأويلًا ولا تحريفًا، ولهذا لم يضفها الله إلى نفسه فلم يقل بأيدينا بل قال: ﴿بِأَيْيْدٍ﴾.

ونظير هذا: قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، وقد فسَّرها علماء السلف بأحد تفسيرين: منهم من قال: المراد به الشدة.

ومنهم من قال: المراد به ساق الله سبحانه وتعالى، وكلا القولين له وجاهته، فمن نظر إلى الآية بمفردها قال المراد بالساق: الشدة، ولم يقصد إنكار الصفات أو تأويلها، ومن نظر إلى سياق حديث أبي سعيد في حال المؤمنين في الموقف قال المراد بها هنا: ساق الله ﷻ، أفاده شيخنا ابن عثيمين(١).



(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٠٣).

[إثباتُ العَينَينِ للهِ تعالى]

(قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، قوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾، قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾).

دلَّت هذه الآيات على إثبات العين لله ﷻ، وأهل السنة يثبتون أن لله عينين كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء إثبات صفة العين لله في القرآن بلفظ الجمع والإفراد، **فالجمع** في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، **والإفراد في** قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، وأما بلفظ التثنية فلم يأتِ في القرآن، وإنما جاء في السنة، كما في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال عن الدجال: «**تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»(١). وهذا يدل على أن لله عينين ولا تعارض مع الآيات الأخرى.

فلفظ الإفراد في قوله سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من عين.

ولفظ الجمع ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ يُحمل على أحد محملين: **أحدها**: أن أقل الجمع اثنان.

والثاني: أنها سيقت مساق التعظيم.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ عن الدجال: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» يدل على أن لله عينين.

[إثباتُ السَّمعِ والبصرِ للهِ سبحانهُ]

(قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾، قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾، قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾، قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، قوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة السمع والرؤية لله سبحانه، ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة السمع لله، وأنه يسمع كلام المخلوقات، ولا تشتبه عليه اللغات، ولا يخفى عليه من كلامهم صغير ولا كبير، لا سر ولا علانية، يسمع كلام الأبرار كما يسمع كلام الفجار.

فيثبتون السمع لله كما يليق بجلاله على أتم حال وأكمله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وكذا يثبتون أن الله يرى أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، لا في بر ولا بحر، في الليل والنهار، في السر والإعلان، ودلائل هذا في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة كثيرة جدًّا، وقد ذكر الشيخ جملة من النصوص في ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ السميعُ يرى ويسمعُ كُلَّ مَا ... في الكونِ عاليهِ مع التحتاني
ولكلِّ صوتٍ منهُ سَمْعٌ حاضرٌ ... فالسِّرُ والإعلانُ مستويانِ
والسمعُ منهُ واسعُ الأصواتِ لا ... يخفى عليهِ بعيدُهَا والدَّاني
وهُوَ البصيرُ يرى دَبِيبَ النملةِ السَّـ ... ـوداءِ تَحْتَ الصَّخْرِ والصَّوَّانِ
ويرى مجاري القُوتِ في أعضائها ... ويرى عروقَ نِيَاطِهِا بعِيَانِ
ويرى خياناتِ العيونِ بلَحْظِهَا ... ويرى كذاكَ تَقَلُّبَ الأجفانِ

وقال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَرّ ... فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ ... بِسَمْعِهِ الواسع للأصوات
وعلمهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِيْ ... أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِيْ

[إثباتُ المكرِ والكيدِ لله تعالى على مايليقُ بهِ]

(قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾، قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾، قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾).

دلَّت هذه الآيات على إثبات ثلاث صفات لله سبحانه وتعالى وهي: المِحَالُ والمكرُ والكيدُ، وأهل السنة والجماعة يثبتونها لله كما أثبتها لنفسه على وجه الكمال والعظمة، فنثبتها كما جاء في القرآن، وهي في حق الله سبحانه صفة كمال وعظمة، وذلك أن الكيد والمكر إذا كانا بمن يستحق ذلك كانا وصف كمال وإذا كانت بمن لا يستحقه كانتا صفة نقص، والقرآن إنما أثبتها بمن يستحق حيث جعلها في مقابلة مكر أعداء الله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾. فالله إنما وصف نفسه بها على وجه المجازاة لمن يستحق ذلك من الكافرين والمنافقين، ووصف نفسه بالكيد والمكر والخداع بمن يستحق ذلك، وهذا كمال.

والحاصل أننا نثبت ما دلَّت عليه هذه الآية على وجه الكمال، وأنها ثابتة لله على وجه الكمال بمن يستحق ذلك، ولا يوصف الله بها على سبيل الإطلاق، فلا يُقال عنه سبحانه وتعالى الماكر والمخادع والكائد، وإنما يقال: يكيد ويمكر ويخدع من يستحق ذلك.

قوله: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾).

أي: شديد الأخذ والعقوبة لمن طغى عليه وتكبر وتمادى في كفره.

[وصفُ اللهِ بالعفوِ والمغفِرةِ والرَّحمةِ والعِزَّةِ والقدرةِ]

(قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾، قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة العفو، والمغفرة، والرحمة، والعزة لله ﷻ، وهي ثابتة لله سبحانه وتعالى على وجه الكمال كما يليق بجلاله لا تشبه صفات المخلوقين.

فهو الغفور الذي يغفر للمذنبين التائبين.

وهو الرحيم بعباده، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها.

وهو العفو يعفو عن عباده ويتجاوز عن أخطائهم ويستر عيوبهم.

وهو العزيز له العزة الكاملة من جميع الوجوه.

ودلائل هذا في الكتاب والسنة كثيرة، وما ذكره المؤلف من الآيات كافٍ

في إثباتها، وفي معاني هذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الورَى ... لولاهُ غَارَ الأرضُ بالسُّكَّانِ
وَهُوَ الغَفُورُ فلوْ أُتى بقُرَابِهَا ... خطأً موحِّدُ ربَّه الرَّحمنِ
لأتاهُ بالغُفرانِ مِلءَ قُرابِهَا ... سبحانهُ هُوَ واسعُ الغُفْرَانِ
وَهُوَ العزيزُ فلنْ يُرامَ جَنَابُهُ ... أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
وَهُوَ العزيزُ القَاهِرُ الغَلَّابُ لَمْ ... يَغْلِبْهُ شيءٌ هذهِ صفتانِ
وَهُوَ العزيزُ بقوةٍ هِيَ وَصْفُهُ ... فالعِزُّ حينئذٍ ثلاثُ مَعَانِ
وهيَ التي كَمُلَتْ لهُ سبحانهُ ... مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عادِمِ النُّقْصَانِ

[إثباتُ الاسم للهِ ونفيُ المِثلِ والشَّريكِ عنِ الله تعالى وتنزيه الله عن النقائص]

(قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾، قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾﴾، قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾، قوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾، قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾).

في هذه الآيات تنزيه الله عن النقائص؛ حيث نفاها عنه سبحانه، فنفى عنه سبحانه الكفؤ، والند، والمثل، والسمي، والشريك، والولي من الذل، ونفى عنه الولد، وكل ذلك لإثبات غاية الكمال له سبحانه في الأسماء والصفات والأفعال.

والقاعدة التي دلَّت عليها النصوص: أن صفات الله ﷻ ثبوتية ومنفية.

فالثبوتية: كإثبات العلم والسمع والبصر والحياة ونحوها.

والسلبية: كنفي السِّنَة والنوم والولد والند والشريك.

فالكمال لا يتحقق إلا بالإثبات والنفي، إثبات الكمالات ونفي النقائص.

فالله سبحانه وتعالى لا سمي له ولا شبيه ولانظير، ولا كفء له، فلا أحد يكافئه في علمه وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ولا ندَّ له، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

ولم يتخذ ولدًا؛ لكمال صفاته وكمال غناه؛ ولأنه لا مثيل له سبحانه وتعالى.

وليس له شريك في ملكه وخلقه وتدبيره، وليس له ولي من الذل؛ لأن الله له العزة جميعًا، فلا يلحقه الذل بوجه من الوجوه لكمال عزته وقوته.

وأما الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده فلم ينفها، بل أثبتها في قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢].

وفي البخاري أن الله قال: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»(١)، فالولاية لم تُنفى مطلقًا وإنما نفي الولي من الذل فليس بذليل يحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير.

وأخبر أنه يُسَبِّحَه -بمعنى ينزهه- عن كل نقص وعيب ما في السموات وما في الأرض، والتسبيح يتضمن مع نفي صفات النقص عنه سبحانه إثبات ما يلزم ذلك من عظمته، فكان في التسبيح تعظيم له مع تبرئته من السوء.

(وقوله سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾).

في هذه الآية الكريمة إثبات الاسم لله تعالى، وأن اسمه مبارك تُنال معه البركة، وفيه إثبات الجلال والإكرام لله تعالى، **فالجلال** يتضمن التعظيم، **والإكرام** يتضمن الحب والحمد.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[إثباتُ استواءِ اللهِ على عرشهِ]

(قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

هذه الآيات دلَّت على إثبات الاستواء على العرش لله تعالى، وقد دلَّ على إثباته الكتابُ والسنةُ وإجماعُ سلف الأمة وأئمة الدين على أن الله مستوٍ على عرشه، وهذا نثبته على حقيقته، استواءٌ يليق بجلال الله وعظمته، بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ولا تحريف ولا تعطيلٍ.

ولما سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، كيف استوى؟ فأطرق حتى عَلَّته الرُّحَضَاءَ، ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وقد أنكر الاستواء أهل البدع، فمنهم: من جحده، ومنهم: من حرَّفه بالاستيلاء، وهذا مردود وباطل بأدلة الشرع، واللغة واللسان.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل السنة وسلف الأمة متفقون على أن من تأوَّل استوى بمعنى استولى أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سماواته، فهو جهمي ضال»(١).

[إثباتُ عُلُوِّ اللهِ على مخلوقاتِهِ]

(قوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، قوله: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾، قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾).

هذه الآيات فيها إثبات علو الله على خلقه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ولمَّا حَكَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذُرِّيَّتُهُمْ، وَتُغْنَمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»، وَفِي لَفْظٍ: «مِنْ فوقِ سبع

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٨)، والتسعينية (٢/ ٥٤٥).

سموات» وأصله في الصحيحين وهذا سياق ابن إسحاق[١]، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَتْ زَيْنَبُ رضي الله عنها تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فوق سبع سموات**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد دل على ذلك أكثر من ألف دليل»[٣].

وقيل لابن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: «**بأنه فوق سمواته على العرش بائن من خلقه**».

والنصوص الواردة المتنوعة الدالة على علو الله على خلقه تقرب من عشرين نوعًا، كلها تدل على علو الله بذاته على خلقه، منها:

التصريح بالفوقية: كقوله سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

والتصريح بالعروج: كقوله سبحانه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

والتصريح بالصعود إليه: كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

والتصريح برفعه بعض المخلوقات: كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

والتصريح بالعلو المطلق: كقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والتصريح بتنزيل الكتاب: كقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (٢/ ٤١٥).

ورواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٣٨).

والتصريح بأنه في السماء: كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٧].

والتصريح بنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة(١).

والإشارة إليه حِسًّا إلى العلو، كما أشار الرسول ﷺ في حجة الوداع فرفع إصبعه إلى السماء، وقال: «**اللهُمَّ اشْهَدْ**»(٢).

وشهادة الرسول ﷺ لمن قال عن الله: «**أنه في السماء**» بالإيمان(٣).

وقد ضلَّ في هذه الصفة طوائف من أهل البدع.

فمنهم: من أنكرها، وقال: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، وهم المعطلة الجهمية.

ومنهم: من يقول: إنه بذاته في كل مكان، وهم الحلولية.

وأما أهل السنة: فيقولون: إن الله فوق سمواته مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وهو محيط بهم بعلمه، لا يخفى عليه شيء من أمرهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَهُوَ العليُّ بذاته سبحانهُ — إذْ يستحيلُ خلافُ ذا ببيانِ
وعُلُوِّهِ سبحانهُ فوقَ السما — واتِ العُلَى بَلْ فوقَ كُلِّ مكانِ
وَهُوَ الذي حَقًّا على العرشِ استوى — قَدْ قامَ بالتدبيرِ للأكوانِ
وَهُوَ العليُّ فكلُّ أنواعِ العُلُوِّ — لهُ فثابتةٌ بلا نُكرانِ

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

[إثباتُ مَعيَّةِ اللهِ لخلقهِ]

(قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾، قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾، قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، قوله: ﴿وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، قوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾).

في هذه الآيات إثبات معية الله لخلقه، وقد جاءت المعية في كتاب الله على قسمين: معيَّةٌ عامة، ومعيَّةٌ خاصة.

فالمعية العامة: هي الشاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع خلقه بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء، وهذه المعية العامة للإنس والجن، للمسلم والكافر، وهي المرادة في الآيتين الأوليين، والشاهد قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا

يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه سبحانه، ولا شك في إرادة ذلك»(١).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أجمع العلماء من الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل من أن معنى هذه الآية** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. هو على عرشه وعلمه بكل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»(٢).

وأما المعية الخاصة: فهي الخاصة برسله وأوليائه، فهو معهم بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والإعانة على عدوهم، وهذه المذكورة في بقية الآيات، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ حينما قالها الرسول ﷺ لأبي بكر وهما في الغار، والمراد بالمعية هنا: معية النصر والعصمة من الأعداء، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. أي: أنصركم وأؤيدكم وأسمع كلامكم وأحفظكم، وهكذا باقي الآيات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وأكثر المنقول عن السلف في المعية العامة أن المراد بها: أنه معهم بعلمه وسمعه.

والمعية الخاصة المراد بها أنه معهم بتأييده وحفظه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٣).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣٩)، وانظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ١٣٦)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥١٩)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٠٤).

[إثباتُ الكلام لله تعالى]

(قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾، قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ﴾)، قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾).

في هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله ﷻ، ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله حقيقة على ما يليق بجلاله، وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء بما شاء، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، وقد دلَّ على ذلك إجماع السلف أن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء، وأن كلامه كما يليق بجلاله وعظمته لا يشبه كلام خلقه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقد نص الأئمة على كفر من زعم أن القرآن مخلوق؛ لما في ذلك من تكذيب الأنبياء الذين أخبروا أممهم بكلام الله لهم، وما فيه من إنكار القرآن والوحي، وما يلزم من إنكار صفة الكلام من إنكار الرسالة؛ لأن الرسالة تَبْلِيغُ خطاب المُرْسِل، وما يلزم من تشبيه الله بالجمادات.

وفي بيان مذهب أهل السنة في إثبات كلام الله ودلائله في الكتاب والسنة

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآخرونَ أُولُو الحديثِ كأحمد ... ومحمدٍ وأئمةِ الإيمانِ
قالوا: بأنَّ اللهَ حقًّا لمْ يزلْ ... متكلِّمًا بمشيئةٍ وبيانِ
إنَّ الكلامَ هُوَ الكمالُ فكيفَ يخـ ... ـلو عنهُ في أزلٍ بلا إمكانِ
واللهُ ربُّ العرشِ قالَ حقيقةً ... (حم) مَعْ (طه) بغير قِرَانِ
واللهُ جَلَّ جلالُهُ مُتَكَلِّمٌ ... بالنَّقْلِ والمعقولِ والبرهانِ
واللهُ قالَ وقائلٌ وكذا يقو ... لُ الحقَّ ليس كلامُهُ بالفاني
ويُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يومَ معادِهِمْ ... حقًّا فيسمعُ قولَهُ الثقلانِ
وكذا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ في جنَّةِ الـ ... ـحيوانِ بالتسليمِ والرِّضوانِ
وكذا يُكَلِّمُ رُسْلَهُ يومَ اللِّقَا ... حقًّا فيسألُهُمْ عن التِّبْيَانِ
ويُراجِعُ التكليمَ جَلَّ جلالُهُ ... وقتَ الجدَّالِ لهُ من الإنسانِ
ويُكَلِّمُ الكفارَ في العَرَصَاتِ تَوْ ... بيخًا وتقريعًا بلا غفرانِ
ويُكَلِّمُ الكفارَ أيضًا في الـ ... جحيمِ أَنْ اخْسَئوا فيها بكُلِّ هوانِ

(قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾، قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾، قوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾، قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾).

في هذه الآيات إثبات النداء والصوت لله ﷻ على ما يليق بجلاله، وقد أخبر الله تعالى في القرآن بندائه لعباده في أكثر من عشرة مواضع، والنداء لا يكون إلا صوتًا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس.

وقد **استفاضت الآثار** عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من

أئمة السنة أن الله سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة، ونادى آدم بصوت ويتكلم بصوت، فنثبت أن الله يتكلم بصوت، وأنه ينادي جل وعلا، وكل هذا نثبته كما يليق بجلاله وعظمته، فكلامه ليس ككلام خلقه، ونداؤه ليس كنداء خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وفي هذه الآيات ردٌّ على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي؛ حيث أثبتت النداء والقول؛ لأن المعنى المجرد لا يسمع، وقد ردَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ على من زعم ذلك من تسعين وجهًا[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

تسعون وجهًا بيَّنَتْ بطلانه ... أعني كلامَ النَّفسِ ذي البطلانِ

وقد ضلَّ في هذا طوائف من أهل البدع فزعموا أن كلام الله هو المعنى القائم في نفسه، وأنه لم يتكلم بصوت، وهذا باطل؛ لأنه تكذيب للقرآن والسنة، ويلزم منه لوازم باطلة.

ومن نفى الصوت فقد زعم أن الله لم يُسمِع أحدًا من ملائكته ولا رسله كلامًا، بل ألهمهم إياه إلهامًا. ومن زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي فقد زعم أن الله لم يرسل رسولًا ولم ينزل كتابًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

واللهُ قَدْ نادى الكليمَ وقبلَهُ ... سَمِعَ النِّدا في الجَنَّةِ الأَبَوَانِ
وأَتَى النِّدا في تسعِ آياتٍ لَهُ ... وَصْفًا فراجعْهَا مِنَ القُرْآنِ
أَيَصِحُّ في عقلٍ وفي نقلٍ ندا ... ءٌ ليسَ مسموعًا لنا بأذانِ
أَمْ أجمعَ العقلاءُ مِنْ ... أهلِ اللسانِ وأهلِ كُلِّ لسانِ

---

(١) انظر: التسعينية (٢/ ٥٩٧).

أَنَّ النِّدا الصَّوتُ الرَّفِيعُ وضِدُّهُ فَهُوَ النَّجَاءُ كلاهُمَا صَوْتَانِ

(قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، قوله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾، قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾، قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾).

في هذه الآيات إثبات أن القرآن كلام الله وأنه مُنَزَّلٌ غير مخلوق، وأنه كلام الله حروفه ومعانيه، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد دلَّ القرآن -كما ذكره المؤلف- والسنة على أن الله سبحانه يتكلم متى شاء بما شاء، وأن القرآن كلام الله أنزله على محمد ليبلغه، كما قال الرسول ﷺ لما كان يَعْرِضُ نَفْسَهُ على الناس في الموقف: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[1] رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال:

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٤)، وأحمد (١٥١٩٢) من حديث جابر رضي الله عنه. =

حسن صحيح غريب.

وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ» يَعْنِي الْقُرْآنَ[1]. رواه الترمذي، وأبو داود في المراسيل، وصححه الحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[2] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ فَضَعُوهُ عَلَى مَوَاضِعِهِ عَنْهُ»[3].

وفي سنن النسائي: «إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ»[4].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلَّم به حقيقةً، وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى فيه: ﴿الٓمٓ ۝١﴾، ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿الٓمٓر﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾، ﴿طه ۝١﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿طسٓمٓ ۝١﴾، ﴿حمٓ ۝١﴾، ﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾، وليس كلام الله المعاني دون

= صححه الترمذي (٢٩٢٥)، والحاكم (٤٢٢٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧).

(١) رواه الترمذي (٢٩١٢)، وأبو داود في المراسيل (٥٣٨) من حديث جبير بن نفير مرسلًا.
قال البخاري في خلق أفعال العباد (ص١٠٤): «هذا الخبر لا يصح؛ لإرساله وانقطاعه»، وقد جاء موصولًا عند الحاكم وصححه (٢٠٣٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٦١).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
قال الترمذي: «حسن غريب». وقال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٦٦): «رجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٣٥).

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٢٤٩).

(٤) رواه النسائي (١٣١١)، وأحمد (١٤٤٣١) من حديث جابر رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

الحروف، ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عَيْنُ كلام الله.

وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠]، فإضافته هنا إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء، والرسالة تبليغ كلام المرسِل، والكلام إنما يُنسب إلى من قاله ابتداء لا إلى من قاله مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، فالقرآن المتلو بالألسن والمحفوظ في الصدور والمكتوب في السطور من فاتحته إلى خاتمته كله كلام الله ألفاظه ومعانيه تكلَّم اللهُ به قولًا وأنزله على رسوله وحيًا، نزل به من عنده الروح الأمين على محمد خاتم المرسلين، ولا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٞ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما القرآن فإني أقول إنه كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلَّم الله به صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًّا، وبلَّغه محمدًا ﷺ وحيًا، وأن ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ و﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾ و﴿الٓمٓ ۝١﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ عين كلام حقيقة، وإن الله تكلَّم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ، وأن جميعه كلام الله وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر، والله يصليه سقر، ومن قال: ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ؛ فإن الله بعثه ليبلغ عنه كلامه فإذا انتفى كلام المُرْسِل انتفت رسالة الرسول»(١).

وقال شيخ الإسلام عن القرآن: «ولم يقل أحد من السلف أنه مخلوق أو أنه قديم، بل الآثار متواترة عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنهم يقولون: القرآن كلام الله، وأول من عُرِف عنه أنه قال مخلوق: الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عُرِف عنه أنه قال هو قديم: هو

---

(١) الكافية الشافية (ص١٣)، وانظر: مختصر الصواعق (ص٤٩٩).

عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، أما السلف فلم يقل أحد منهم بواحد من هذين القولين، ولم يقل واحد من السلف: إن القرآن عبارة عن كلام الله ولا حكاية له، ولا قال منهم أحد: أن لفظي بالقرآن قديم، أو مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرءونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق»(١).

[إثباتُ رؤيةِ المؤمنينَ لربِّهم يومَ القيامةِ]

(قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾).

في هذه الآيات **إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة**، وهذه من أشرف المسائل وأجلِّها، وهي غاية شمَّر لها المشمِّرون، وحُرمها من هم عن ربهم محجوبون.

ومذهب **أهل السنة والجماعة** أن الله لا يُرى في الدنيا، وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم عيانًا بأبصارهم رؤيا حقيقية، وهي أعظم نعيم يُعطاه المؤمنون في الجنة، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة كثيرة.

وقد ذكر **المؤلف الأدلة من القرآن**، وأما في السنة: فقد نقل أحاديث الرؤيا

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠١-٣٠٢).

عن النبي ﷺ نحو ثلاثين صحابيًا، وأجمع على هذا سلف الأمة، ومنها: حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه المتفق عليه قال: «**كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ** البدر، فقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نَاسًا قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»(٢)، وغيرها.

قال ابن القيم رحمه الله:

ويَرَوْنَهُ سبحانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ	نظرَ العِيَانِ كما يُرَى القَمَرَانِ
هذا تَوَاتَرَ عن رسولِ اللهِ لَمْ	يُنْكِرْهُ إلا فاسِدُ الإيمانِ
وأتى به القرآنُ تصريحًا وتعر	يضًا هما بسياقِهِ نوعانِ
وَهِيَ الزيادةُ قَدْ أتتْ في يونسٍ	تفسيرَ مَنْ قَدْ جاءَ بالقرآنِ
وَهُوَ المزيدُ كذاكَ فسَّرَهُ أبو	بكرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإيقانِ

وليس تشبيه رؤية الله برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله بهما، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي.

وقد أنكر الرؤية المعتزلة والجهمية، وكلامهم باطل تردُّه نصوص الكتاب والسنة الصريحة في ذلك.

والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقسمٌ: غلو في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة، وهم الصوفية وأضرابهم.

وقسمٌ: نفوها في الدنيا والآخرة، وهم الجهمية والمعتزلة.

والوسط: هم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوها في الآخرة فقط، حسبما تواترت به الأدلة.

قوله: (وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ).

فالكلام على صفات الله وأسمائه وما يجب له من الحق كثيرٌ في كتاب الله، فالقرآن مليئ بتقرير الحق بدلائله في أبواب الشريعة لا سيّما أصول الايمان وصفات الرحمن، وكلما كانت حاجة الناس إلى معرفة الشيء أشد وأكثر كان ذكره في القرآن والسنة أعظم وأكثر، وكانت طرق معرفته أكثر وأظهر، وكانت الأسماء المعرِّفة له أكثر، وكانت على معانيه أدل، ولمَّا كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه.

ومن تأمل القرآن وجد أعظم قضية تكلَّم عليها وأكثر منها الكلام عن الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، وربوبيته، وألوهيته، وحقوقه، وما فعله بمن حقق هذا أو كذَّب به، وما أعد لهؤلاء وهؤلاء.

قوله: (مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ).

فالقرآن هو الهدى والشفاء من تدبَّره طالبًا للهدى هداه الله إلى الحق، وما

ضلَّ مَنْ ضلَّ في هذا الباب وغيره إلا لإعراضهم عن القرآن ومعارضته، فلمَّا لم يطلبوا الهدى منه أعرضوا عن فَهمه وتَدبره وحرَّفوه بالتأويلات الفاسدة، فحُرِمُوا الانتفاع به، فعلى العبد أن يتدبر القرآن ويحرص على طلب الحق منه.

فليس في العلوم والكتب على الإطلاق أدلّ على الصراط المستقيم، وأهدى للقلوب، وأزكى للنفوس، وأجلب للسعادة، وأطرد للهموم، وأشرح للصدور، وأعمق علمًا، وأوضح فهمًا، وأجلب للخيرات، وأعظم وصفًا للآخرة والجنة والنار، وترغيبًا وترهيبًا، ووصفًا لله وتعريفًا للخلق به، وحثًّا على الايمان به وطاعته، وأرسخ للعقائد، وأجلب للإيمان، وأعظم ترقيقًا للقلوب، وأثبت للقلوب على الإيمان ودعوة للصالحات وتحذيرًا من المنكرات = **مِنْ تدبر القرآن والعيش معه**.

فلو علم الخلق ما في تدبر القرآن والعيش معه من الخير والبركة لأقبلوا عليه واشتغلوا به عن كل ما سواه، ففيه كل الخير، فمن تدبَّر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقصد اتباع الحق حصل له كمال النور والهدى.

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثوره.

فتبارك الذي جعل كلامه حياةً للقلوب، وشفاءً لما في الصدور، وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يُورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب

وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه.

فتَدَبَّرِ القرآنَ إِنْ رُمْتَ الهدى ... فالعِلمُ تحتَ تَدَبُّرِ القرآنِ
ما العِلْمُ نَصْبَكَ للخلافِ سفاهةً ... بينَ الرسولِ وبينَ رأي فلانِ
كلَّا ولا جَحْدَ الصفاتِ لربنا ... في قالبِ التنزيهِ والسُّبْحَانِ
كلَّا ولا عَزْلَ النصوصِ وأنَّها ... ليستْ تفيدُ حقائقَ الإيمانِ

[الاستدلالُ على إثباتِ أسماء الله، وصفاتهِ من «السُنةِ»]

قوله: (فصل: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ).

لما فرغ من ذكر الأدلة من القرآن على منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات انتقل إلى ذكر الأحاديث التي تدل على صفات الله سبحانه.

وقد أشار المؤلف إلى أهمية الرجوع إلى سنة الرسول ﷺ؛ لأنها وحي من الله، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ولا يُقَرُّ على خطأ، فسنة الرسول ﷺ تُفَسِّر القرآن وتُبَيِّنُه وتَدُلّ عليه، وتُبَيِّن مجمله من الأمر والخبر، وهذا أمر دل

عليه القرآن ووضحته السنة، واتفق عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وفي سنن أبي داود عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

فالحكمة التي أنزلها الله عليه مع القرآن وعلَّمها الرسول ﷺ لأمته تتناول ما تكلَّم به في الدين من غير القرآن من أنواع الخبر والأمر، فمن تمسك بالكتاب والسنة نجا ووصل للعلم الصافي بأقرب طريق، فهما الأصلان والمرجع عند الاختلاف.

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

ورحم الله ابن القيم إذ قال:

يا مَنْ يُريدُ نجاتَهُ يومَ الحسا ... بِ مِنَ الجحيمِ ومَوقِدِ النِّيرانِ
اتْبَعْ رسولَ اللهِ في الأقوالِ والـ ... أعمالِ لا تخرجْ عنْ القرآنِ
وخُذْ الصحيحينِ اللَّذَيْنِ هُمَا لعِقْـ ... ـدِ الدينِ والإيمانِ واسِطَتانِ
العِلْمُ قالَ اللهُ قالَ رسولُهُ ... قالَ الصحابةُ هُمْ ذَوُو العِرْفَانِ

وإذا ثبتت السنة عن الرسول ﷺ وجب الإيمان بما دلَّت عليه، والانقياد له وتصديقه، سواء كانت في بيان الأسماء والصفات، أو الأمر والنهي، أو الشرع والحكمة، أو الأخبار الماضية أو المغيبات المستقبلية، وسواء كانت

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٧١٧٤) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.
صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣).

في أحكام الدنيا أو أمور الآخرة؛ لأنها خبرٌ عن معصوم، فإذا صح النقل إليه وجب الإيمان بها، **ولا فرق في ذلك بين المتواتر أو الآحاد، فكلها يُعمل بها في أصول العقائد والأسماء، وفي العمليات.**

والأدلة على قبول خبر الآحاد كثيرة جدًّا.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ هذا القول في كتابه الصواعق، وأفاض في ذكر الأدلة على ذلك[1]، وكذلك ذكره في النونية.

ولذا أورد المؤلف هنا أحاديث في قضايا عقدية، ولم يُفَرِّق بين متواتر وآحاد.

قال شيخ الإسلام: «والذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له وعملًا به يوجب العلم إلا فِرقة قليلة اتبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك»[2].

وقال ابن النجار في شرح الكوكب المنير: «ويعمل بآحاد الأحاديث في أصول الديانات. وحكى ذلك ابن عبد البر إجماعًا.

وقال ابن قاضي الجبل: مذهب الحنابلة: أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات. ذكره القاضي أبو يعلى في مقدمة المُجَرَّد، والشيخ تقي الدين في عقيدته»[3].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: مختصر الصواعق (ص٥٧٦-٦١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥١).

(٣) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٥٢).

[ثبوتُ النُّزُولِ الإلهيِّ إلى سماءِ الدُنيا على ما يليقُ بجلالهِ]

قوله: (فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

هذا الحديث مما تواتر عن الرسول ﷺ، حيث رواه نحوًا من ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة، واتفق سلف الأمة وأئمتها على تلقيه بالقبول والإيمان بما دلَّ عليه.

ومنهج أهل السنة والجماعة التصديق بما دلَّ عليه، والإيمان بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير نزولًا يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تحريف، وإثبات النزول لله كإثبات غيره من الصفات كالإستواء والعلو والمجيء والرضا وغيرها مما وصف الله بها نفسه ووصفته بها رسله، يجب الإيمان به كله على منهج واحد.

ومن أنكر النزول أو زعم أنه لا يجوز ذكره عند عامة الناس، أو تأوَّله على غير ظاهره فهو ضالٌّ سالكٌ غير سبيل المؤمنين، ولا يجوز لأحد أن يستدرك على الله سبحانه أو على رسوله ﷺ في إثبات أسمائه وصفاته، بل يؤمن ويُسَلِّم

---

(١) سبق تخريجه (ص ٨٠).

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

قال شيخ الإسلام: «واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول»(١).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «ويُثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويُمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويَكِلُون علمه إلى الله»(٢).

ومعنى قوله: «**ويكلون علمه إلى الله**» يعني علم الكيفية لا يُبحث فيها؛ لأن الكيفية تتوقف على المشاهدة، والله لا يرى في الدنيا.

وقال أبو سعيد الدارمي في رده على الجهمية لما ذكر بعض أحاديث النزول: «فهذه الأحاديث التي قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا يُنكرها منهم أحد، ولا يَمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله بردٍّ، وتشمَّروا لدفعها بجَدٍّ، فقالوا: كيف نزوله؟ قلنا: لم نُكَلَّف كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه، فنثبته منه فعلًا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف شاء، **فالكيف منه غير معقول**، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه كيف يصنع وكيف قدر»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٩١).

(٣) الرد على الجهمية (ص٩٢).

ومع هذا الإثبات يُصان جلَّ وعلا عن الظنون الفاسدة، فإن مذهب سلف الأمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش، لا يكون تحت المخلوقات، ولا تكون المخلوقات محيطة به قط، بل هو العلي الأعلى، العلي في دنوه القريب في علوه.

وقال شيخ الإسلام: «فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلَّم موسى في الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين = لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر، فإن نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك، فكيف برب العالمين!

وكذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس، فلا يجوز نفي ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات، ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لا سيّما ما لا نشاهده من المخلوقات، فإن ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الأسماء والصفات ليس مماثلًا لما نشاهده منها فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق، وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[1].

وقاعدة هذا الباب: أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله ﷻ على الكيفية التي يشاء سبحانه، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي تثبت في الكتاب والسنة، فيقفون عند ذلك فلا يكيفون ولا يمثلون ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٠).

ينفون ولا يعطلون، ويقولون: إن الرسول ﷺ أخبرنا أنه سبحانه ينزل ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعَّال لما يريد، وأنه على كل شيء قدير.

[إثباتُ أنَّ اللهَ يفرحُ ويضحكُ ويعجبُ]

(وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١)).

في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله ﷻ، والكلام فيها كالكلام في غيرها من الصفات.

وأنها صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، فنثبت أن الله يفرح فرحًا يليق بجلاله وعظمته، وفرحه لا يشبه فرح المخلوق؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا نُحَرِّف صفة الفرح، ولا نُعَطِّلها، ولا نُمثِّلها، ولا نكيّفها.

والفرح صفة كمال، ولهذا يوصف الله بأعلى أنواعه وأكملها، ولا يُشبه فرح المخلوقين، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته.

وقد ضلَّ في هذه الصفة طوائف فقالوا: الفرح هو الرضا، والرضا هو إرادة الثواب، وهذا كله نفيٌ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه، وسببه: توهمهم أن هذه المعاني تكون فيه كما تكون في المخلوق، تعالى الله عن ذلك علوًّا عظيمًا.

وفي الحديث دليل على فضل التوبة إلى الله، وأن الله يقبلها من العبد

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويفرح بها إذا وقعت على الوجه المعتبر شرعًا.

وفيه دليل على أن الإنسان إذا جرى على لسانه كلمة كفر من شدة دهش ونحو ذلك، أو حكى كفرًا أنه لا يكفر بذلك ولا يؤاخذ به.

(وقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]).

في هذا الحديث وصف الله بالضحك.

وأهل السنة والجماعة يثبتون الضحك لله ﷻ، كما أفاده هذا الحديث وغيره على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وهذا الحديث دليل على كمال رحمة الله وإحسانه وسعة فضله على عباده؛ فإن المسلم يقاتِل في سبيل الله فيقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة ويَمُن على الكافر القاتل بالهداية ويُدخله الجنة، فيجتمعان فيها.

ومن تأول الضحك بأنه الرضا أو القبول مع نفي الصفة، فهو تحريف باطل، ونفيٌ لما أثبته الرسول ﷺ.

(قوله: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ[(٢)] رواه أحمد وابن ماجه).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في التفسير (١/ ٤٢٧). وقد رواه ابن ماجه (١٨١)، وأحمد (١٦١٨٧)، وغيرهما من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه، بلفظ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا. =

وفيه **إثبات صفة العجب لله سبحانه** كما يليق بجلاله وعظمته، وهو لا يشبه عجب المخلوقين.

وقوله: (مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ).

أي: يأسهم.

وقوله: (وَقُرْبِ غِيَرِهِ).

أي: تغيير أحوالهم من الضيق إلى السعة والرخاء.

وقد دلَّ على إثبات صفة **العَجَب لله سبحانه** نصوصٌ أخرى.

منها: ما رواه البخاري عن النبي ﷺ قال: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**»(١).

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٢).

وفي المسند عنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»(٣) وضعفه ابن حجر لأجل ابن لهيعة، وجاء في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «بل

= ومدار الحديث على وكيع بن حدس أو عدس، قال ابن حجر في التقريب (ص٥٨١): «مقبول».

(١) رواه البخاري (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (١٧٣٧١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وفي إسناده ابن لهيعة، لكن الراوي عنه هنا هو قتيبة بن سعيد، وقد كتب أحاديثه من كتاب ابن وهب ثم سمعها من ابن لهيعة، وابن وهب ممن سمع منه قديمًا قبل اختلاطه واحتراق كتبه. ومع هذا فقد رواه الروياني في مسنده (٢٢٧) من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، به. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٢٤): «وهذا إسناد جيد؛ لأن رواية ابن وهب عن ابن لهيعة صحيحة، كما هو معلوم».
وقد جاء موقوفًا، ورجّحه أبو حاتم كما في العلل لابنه (٥/ ١٠٩).

عجبتُ ويسخرون» بالضم[١].

وفي الأحاديث السابقة الرد على الأشاعرة والمعتزلة والجهمية الذين ينفون الضحك والعجب، ويُؤولون ذلك بتأويلات فاسدة.

[إثباتُ الرِّجلِ والقدَم لله سبحانهُ]

(وَقَوْلُهُ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢]).

في هذا الحديث إثبات القدم والرجل لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، فلا نُكيّفها، ولا نُشبهها، ولا نُمثلها، ولا نُعطلها.

فالقدم والرجل في الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض بها واجب، فالمهتدي من سلك طريق التسليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري معلقًا- كتاب تفسير القرآن / باب قوله: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾. ووصله الطبراني المعجم الكبير (٩/ ١٣٩). وصححه الحاكم (٣٦٠٨).

(٢) رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

[إثباتُ النِّداءِ والصَّوتِ والكلام لله تعالى]

(قوله: «يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ». مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[1]، قوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»[2]).

في هذا الحديث إثبات الصوت حقيقة لله سبحانه، ومذهب أهل السنة والجماعة ما دلَّ عليه القرآن والسنة وكلام السلف على أن الله يتكلم بمشيئته، يتكلم بصوت يليق بجلاله، لا يُشبه صوت المخلوقين، بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد، وصوته من صفات ذاته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد أجمع أهل السنة على هذا، وممن حكى الإجماع حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد.

وفيه دليل على أن الله يتكلم بحرف وصوت؛ لأن النداء لا يكون إلا بحرف وصوت بإجماع أهل اللغة، وقد كان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية، وأنهم يدورون على التعطيل.

قال السفاريني: «وقد روي في إثبات الحرف والصوت في كلام الله أكثر

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

من أربعين حديثًا، بعضها صحاح وبعضها حسان، ويحتج بها، أخرجها الضياء المقدسي وغيره، وأخرج أحمد غالبها، واحتج به، واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث، فقد صححوا هذه الأحاديث واعتقدوها واعتمدوا عليها، منزهين الله عما لا يليق بجلاله، كما قالوا في سائر الصفات من النزول والاستواء والمجيء والسمع والعين وغيرها، فأثبتوا لله هذه الصفات كما يليق بالله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل»(١).

وفي الحديث دليل على أن الله نادى آدم وكلَّمه كما كلَّم موسى بالوادي المقدس طوى، وكما كلَّم محمدًا يوم الإسراء والمعراج.

قوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ».

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله كما يليق بجلال الله وعظمته، وأنه يتكلم بما شاء ومتى شاء ويُكَلّم من يشاء، وفي هذا الحديث الرد على الجهمية والأشاعرة من نفاة صفة الكلام، فإن الكلام صفة كمال، وأدلة الكتاب والسنة على إثباتها أظهر شيء وأبيَّنه.

■ **وقد دلَّت الأحاديث على أن الله يُكَلّم عباده يوم القيامة بلا ترجمان، وتكليمه سبحانه لعباده على أنواع:**

الأول: تكليمه جميع عباده بلا واسطة، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وهذا عام يشمل المسلم والكافر، والبر والفاجر؛ لأنه كلام محاسبة.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٤٣) بتصرف.

فيكلم الكفار في العرصات تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، ويكلمهم في النار أن اخسؤوا فيها ولا تكلمون، كما قال سبحانه تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦: ١٠٩].

قال شيخ الإسلام: «والقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة»[(١)]، «وقد وردت أحاديث صحاح وحسان تصرح بأن جميع الناس ذكورهم وإناثهم مشتركون في تكليم الله تعالى لهم»[(٢)] كالحديث السابق.

والثاني: تكليمٌ خاصٌ، وهو تكليمه المؤمن، فيكلمه بما يسر، ويكلم أهل الجنة، كما في الأحاديث الصحاح، فيقول: «**أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ، وَصَدَّقُوا رُسُلِي وَلَمْ يَرَوْنِي؟**»[(٣)].

وقد أشار إلى هذا العلامة ابن القيم في معرض تقريره مذهب أهل الحديث في صفة كلام الله، فقال:

ويُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يومَ معادِهِمْ	**حقًّا فيسمعُ قولَهُ الثقلانِ**
وكذا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ في جنَّةِ الـ	**حيوانِ بالتسليمِ والرِّضوانِ**
وكذا يُكَلِّمُ رُسْلَهُ يومَ اللِّقا	**حقًّا فيسألُهُمْ عن التِّبْيَانِ**
ويُراجِعُ التكليمَ جَلَّ جلالُهُ	**وقتَ الجدَّالِ لهُ من الإنسانِ**
ويُكَلِّمُ الكفارَ في العَرَصَاتِ تَوْ	**بيخًا وتقريعًا بلا غفرانِ**
ويُكَلِّمُ الكفارَ أيضًا في الـ	**ـجحيمِ أَنْ اخْسَئوا فيها بكُلِّ هوانِ**

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٢٨٨١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٣١).

واذْكُرْ حَدِيثًا في صحيحِ محمدٍ ... ذاك البخاريِّ العظيمِ الشَّانِ
فيهِ نداءُ اللهِ يومَ معادِنَا ... بالصوتِ يبلغُ قَاصيًا والدَّانِي

[إثباتُ علوِّ اللهِ على خلقهِ واستوائهِ على عرشهِ]

(وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ[١]، قوله: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ[٢]، قوله: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٣]. وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٢٢).
(٢) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.
وجاء موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه: رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٥).
وصححه ابن القيم في مختصر الصواعق (ص٤٣٥)، والذهبي في العرش (٢/ ١٦٥) وفي العلو (ص٧٩)، ووافقه الألباني كما في مختصر العلو (ص١٠٤).

السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١)).

في هذه الأحاديث إثبات علو الله ﷻ وفوقيته على جميع خلقه، وقد تواترت بذلك الأحاديث، وتقدم بيان ذلك.

وقوله: (فِي السَّمَاءِ).

صريح في إثبات علو الله، وفُسِّر قوله: (**في السماء**) بتفسيرين:

الأول: أنه بمعنى: (على)، كما قال سبحانه: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [المُلك: ١٥] أي: على مناكبها.

الثاني: أنه في العلو، وعلى كلا الوجهين فهي نص في علوه سبحانه على خلقه.

قال ابن القيم في الإشارة إلى الطرق النقلية على أن الله فوق خلقه على عرشه:

ولَقَدْ أتانَا عَشْرُ أنواعٍ مِنَ الـ ... منقولِ في فوقيَّةِ الرحمنِ
مَعَ مثلِهَا أيضًا تزيدُ بواحدٍ ... ها نحنُ نَسْرُدُهَا بلا كِتْمَانِ
منها: استواءُ الربِّ فوقَ العرشِ في ... سبعٍ أتتْ في محكمِ القرآنِ
هـذا وثـانِيـهَـا صريحُ عُلُوِّهِ ... ولهُ بحكمِ صريحِهِ لفظانِ
لفظُ (العلي) ولفظةُ (الأعلى) على ... التعميمِ والإطلاقِ بالبرهانِ
هذا وثالثُهَا صريحُ الفوقِ مَصْـ ... ـحُوبًا بـ(مِنْ) وبدونها نوعانِ
هذا ورابعُهَا عُروجِ الروحِ والـ ... أملاكِ صاعدةً إلى الرحمنِ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٨٠).

هذا وخامِسُهَا صُعودُ كلامِنَا ... بالطيباتِ إليهِ والإحسانِ
وكذا عُرُوجُ ملائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا ... مِنَّا بأعمالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ
هذا وسادِسُهَا وسابِعُهَا النُّزو ... لُ كذلك التنزيلُ للقرآنِ
هذا وثامِنُهَا بسورةِ غافرٍ ... هو رفعةُ الدرجاتِ للرحمنِ
هذا وتاسِعُهَا النصوصُ بأنَّه ... فوقَ السماءِ وذا بلا حُسْبَانِ

[إثباتُ معيَّةِ اللهِ لخلقهِ وأنَّها لا تُنافي عُلُوَّهُ فوقَ عرشهِ]

قوله: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حديثٌ حسنٌ[١]، قوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٠): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير. قلت: ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦/ ٩٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» رِوَايَةُ مُسْلِمٍ(١)، وَقَوْلُهُ ﷺ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

في هذه الأحاديث إثبات معية الله لعباده، وتقدم أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: معية عامة، وهي معية العلم والإطلاع، وأدلتها كثيرة.

ومنها: ما ذكره في الحديث الأول: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وقد ندب الله عباده إلى استحضار قربه سبحانه وعلمه واطلاعه عليهم في حال العبادات، وجعل هذا مقام الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، فتعلم أن الله معك حيثما كنت، وأنك لا تعمل عملًا ولا تنطق بكلام إلا والله مُطَّلِعٌ عليك ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وهذه المعية إذا استحضرها العبد استحيي من الله أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، فتكون عونًا له على اجتناب المعصية وفعل الطاعة، وسببًا لحضور القلب عند الطاعة من صلاة وذكر وقرآن ودعاء.

والنوع الثاني: المعية الخاصة، وهي معية النصر والتأييد والحفظ والإعانة، وهذه خاصة برسله وأوليائه، وهذه المراد بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ

---

(١) سبق تخريجه (ص ٤٤).

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وأما قوله: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فقد دل على أن الله يكون قِبَل وجه المصلي، وهذا حق على ظاهره، فهو سبحانه فوق العرش وهو قِبَل وجه المصلي، فنثبت ما دلَّ الحديث على ما يليق بجلال الله مع كونه فوق عرشه عال على خلقه، بائن من خلقه، ليس كمثله شيء، وهذا الوصف يثبت في المخلوقات فالشمس والقمر يستقبلها الرجل فتكون أمامه، وهي في السماء.

وقد استدل بهذا الحديث بعض المعتزلة بأن الله في كل مكان بذاته، وهذا جهل فاضح، والأدلة المتواترة ترد ذلك وتفيد علو الله واستوائه على عرشه، وأيضًا: آخر هذا الحديث ينقض ما استدلوا به، وهو قوله: «**أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**».

وفي الحديث الثالث: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» إثبات أسمائه تعالى الأول والآخر والظاهر والباطن، وهي من الأسماء الحسنى، وقد فسَّرها النبي ﷺ بما لا يدع مجالًا لقائل، فهو أعلم الخلق جميعًا بأسماء الله وبالمعاني التي تدل عليها، فلا يصح أن يُلتفت إلى أي قولٍ يُخالف قوله، فهو الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه.

ومن معاني اسمه الباطن وثمار التعبد به: أن يعتقد العبد قرب الله منه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهذا قربه ممن دعاه.

وفي الحديث الرابع: لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصوَاتَهُم بِالذِّكرِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**

قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إثبات قربه جلَّ وعلا من عباده، وأنه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء والذكر، فإنه يعلم السر والنجوى، وهذا القرب المذكور لا ينافي علوه على خلقه.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[(١)]، وهذا قرب خاص من داعيه وذاكريه وعابديه يَسمعهم ويراهم.

قال ابن القيم: «وأما القرب المذكور في القرآن والسُّنَّة فقربٌ خاصٌّ من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن»[(٢)].

[إثباتُ رؤيةِ المؤمنينَ لربِّهم يومَ القيامةِ]

قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

في هذا الحديث إثباتُ رؤيةِ المؤمنينَ لربِّهم يومَ القيامة، وقد تواترت النصوص في ذلك عن النبي ﷺ، وهذا الحديث متفق عليه.

(١) سبق تخريجه (ص ٤٥).

(٢) طريق الهجرتين (ص٢٢).

(٣) سبق تخريجه (ص ٩٠).

وقد دلَّ الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة على أن الله سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يُرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما تُرى الشمس بالظهيرة.

وقوله: «**لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» يروى بالتخفيف والتشديد:

ومعناها بالتخفيف أي: لا يلحقكم ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن إذا ازدحموا عليه فيلحق بعضهم إهانة عند رؤيته للازدحام والخفاء والمنع، فالله ﷻ لا يلحقهم عند رؤيته ضيم ولا هَمٌّ ولا ظلم.

وبالتشديد أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي، ولا يَحجب بعضكم الرؤية عن بعض، فالمعنى لا يلحقكم ضير ولا ضيم، وهذا كله بيان أن رؤيته سبحانه في غاية التجلي والظهور والكمال بحيث لا يلحق الرائي ضير ولا ضيم كما يلحقه عند رؤية الشيء الخفي والبعيد والمحجوب.

[موقفُ «أهلِ السنةِ» من الأحاديثِ التي فيها إثباتُ الصِّفاتِ الرَّبَّانيَّةِ]

قوله: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

قرّر هنا منهج أهل السنة أنهم يعتبرون كل ما ثبت في السنة عن الرسول ﷺ

شرعٌ يجب الإيمان به على مُرادِ رسول الله ﷺ، فطريقتهم التمسك بالنص الصحيح وبما دل عليه، ولا يُعارضون نصوص الوحيين بمعقول ولا قول فلان، فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما المعيار، فما وافقهما قبلناه وما خالفهما رددناه على قائله، وقد أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنًا من كان، **قال الإمام أحمد**: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة، الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»(١).

وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن السنة كالقرآن في وجوب القبول وإفادة العلم واليقين خلافًا لما عليه أهل البدع، وفي السنن وحسنه الترمذي عن النبي ﷺ قال: **«لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»**(٢).

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملًا به وتصديقًا له، فإنه يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، ولم يكن بين سلف الأمة نزاع في ذلك.

ومنهج أهل السنة قبول ما صح من أخبار الرسول ﷺ، لا فرق عندهم بين

---

(١) نقله أبو طالب عن أحمد كما في الفروع (١١/ ١٠٧)، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٦٠) من قوله: «الفتنة الشرك...».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٥)، وابن ماجه (١٣) من حديث أبي رافع رضي الله عنه.

حسنه الترمذي (٢٦٦٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٠١)، وصححه ابن حبان (١٣)، والحاكم (٣٦٨)، والألباني في صحيح الجامع (٧١٧٢).

أحاديث الأحكام أو الصفات، وعرض أقوال الرجال على سنته. قال ابن القيم:

مَنْ قالَ قولًا غيرَهُ قُمْنا على ... أقوالِهِ بالسَّبْرِ والميزانِ
إنْ وافقتْ قولَ الرسولِ وحكمَهُ ... فعلى الرؤوسِ تُشَالُ كالتِّيجَانِ
أَوْ خالفتْ هذا رَدَدْنَاهَا على ... مَنْ قَالَهَا مَنْ كان مِنْ إِنْسَانِ
أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا ولَمْ ... نَجْزِمْ بلا عِلْمٍ ولا بُرهانِ
هذا الذي أدَّى إليهِ عِلْمُنَا ... وبه ندينُ اللهَ كُلَّ أَوَانِ

وفي قوله: (بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ).

بيَّن وسطية أهل السنة بين الفرق في كل شيء: عقائد، وعبادات، ومعاملات.

فالمسلمون وسطٌ بين الأمم في العقائد والعبادات.

فهم وسطٌ عدول لا ينحرفون إلى غلو ولا إلى تقصير، بخلاف اليهود والنصارى فهم على طرفي نقيض، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأهل السنة وسطٌ بين سائر الفرق المنتسبة للإسلام، فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، فهم أعدل الفرق وأوسطها وخيرها.

قال علي رضي الله عنه: «خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الأَوْسَطُ يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي»(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٨). قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٢٢٩): «ورجال إسناده ثقات إلَّا أن فيه انقطاعًا».

[مكانةُ «أهلِ السُنةِ والجماعةِ» بين فِرَقِ الأمَّةِ]

قوله: (فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ).

فأهل السنة والجماعة وسط في جميع أمور الدين بما في ذلك مسائل العقيدة.

فهم وسط في باب الصفات بين **أهل التعطيل** الذين نفوها وعطّلوها ولم يثبتوها لله، فنفوا السمع، والبصر، والكلام، والنزول، والعلم، وغيرها.

وبين أهل التمثيل الذين شبّهوا صفات الله بصفات خلقه، فقالوا: له سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، تعالى الله عن قولهم.

فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأثبتوا لله كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، ووصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته، ونفوا مشابهته للمخلوقين، وتبرؤوا من التعطيل والتمثيل والتكييف والتأويل، وأثبتوها كما أثبتها الله، وآمنوا أن الله لا يُشبه خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله، كما قال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والجهمية تقدم أنهم **أتباع الجهم بن صفوان** أنكروا ما دلَّت عليه الأسماء والصفات، ولهم من المقالات الباطلة ما جعلهم من غلاة أهل البدع.

قال ابن المبارك: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي

كلام الجهمية»[١]، حتى قال ابن المبارك ويوسف بن أسباط: إنهم ليسوا من فرق هذه الأمة الثنتين والسبعين فرقة[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولقد تقلَّد كفرَهُمْ خمسونَ في عَشرٍ مِنَ العلماءِ في البلدانِ
واللَّالكائِيُ الإمامُ حكاهُ عَنْـ ـهُمْ بَلْ حكاهُ قبلَهُ الطبرانِي

قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ).

■ **فأهل السنة وسط في باب أفعال الله وإرادته بين طائفتين:**

الأولى: الجبرية: الذين نفوا أن يكون للعبد إرادة ومشيئة وعمل، وقالوا: إنه مسلوب الإرادة، وزعموا أنهم لا يفعلون شيئًا ألبته، وأن العبد كالريشة في مهب الريح، وفعله كحركة المرتعش لا إرادة له، والكل فعل الله، وعلى قولهم تكون كل الأفعال طاعة؛ لأنها موافقة لإرادة الله الكونية القدرية.

ولا شك في فساد هذا المذهب، وأدلة الكتاب والسنة والعقل ترده وتبطله، وسُمُّوا جبرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر، وزعموا أن العبد مجبرٌ ولا إرادة له.

الثانية: القدرية: أنكروا مشيئة الله لأفعال العباد، وزعموا أن معاصيهم كالسرقة والزنى لم تدخل في قضاء الله وقدره، وزعموا أن الله لم يشأ أفعال العباد، فغلوا في إنكار تقدير الله ونفوه، وهذا باطل أيضًا.

وأهل السنة وسط بين الطائفتين، وأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ص٣٠)، السنة للخلال (٥/ ٨٥)، الشريعة للآجري (٥٧٩).
(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٧٩، ٦/ ٩٨-١٠١).

أفعالهم تُنسب إليهم حقيقة، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم، فقالوا: الله أعطى العبد مشيئة وإرادة وبيَّن له طريق الحق والضلال، لكن مشيئته تحت مشيئة الله، كما قال سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وقرَّروا ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

قوله: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَة والْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

فأهل السنة وسط في باب وعيد الله - وهو ما وعد به المخالفين من العذاب والنار- بين المرجئة والوعيدية من المعتزلة والخوارج.

والمرجئة نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخَّروا الأعمال عن الإيمان، وزعموا أن الناس في الإيمان سواء، وأن مرتكب الكبيرة غير فاسق، وأن إيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء، وأن الأعمال الصالحة ليست من الإيمان، وكَذَّبوا بالوعيد والعقاب بالكلية.

ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة، وهو من أخبث المذاهب؛ لأنه يؤدي إلى الانسلاخ من الدين وإهمال الواجبات واستباحة المنكرات.

والمرجئة فرقتان:

الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وأثبتوا أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وأنه لا بُد في الإيمان أن يتكلم بلسانه (فلا يكفي مجرد التصديق بالقلب)، وأن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أُضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

الثانية: الذين قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به، ولا شك في فساد هذا القول ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، فإن اختل واحد من هذه الأركان لم يكن مؤمنًا، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة، ودرج على هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين.

والوعيدية هم القائلون بالوعيد، وهو أصلٌ من أصول المعتزلة قالوا: إن الله يجب عليه عقلًا أن يعذب العاصي كما يجب عليه أن يثيب المطيع.

وقالوا: إن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة.

وأن أهل الكبائر مخلدون في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويُكَذِّبُون بشفاعة النبي ﷺ وغيره؛ زعمًا منهم أنه إذا أوعد عبيده فلا يجوز أن يغفر لهم، وهذا المذهب يقول به المعتزلة والخوارج، وهو باطل ترده أدلة الكتاب والسنة المتواترة والإجماع، والنصوص في هذا كثيرة جدًّا.

وأهل السنة وسط بين هاتين الطائفتين، فهم يرون أن الفاسق معه بعض الإيمان، ويعتقدون أن فساق المسلمين لا يُخلدون في النار، ولا يكفرون بالكبائر، وأنهم إن ماتوا من غير توبة فهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أدخلهم الجنة، وإن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة من أول وهلة، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة عملها، بل يجوز عندهم أن يدخل الجنة بلا عذاب، إما لحسنات تمحو كبيرته، وإما لمصائب كفرتها، وإما لدعاءٍ مستجاب، أو برحمة الله.

وأيضًا يؤمنون أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن الفاسق معه مطلق الإيمان وليس معه الإيمان المطلق، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأنه مستحق للعقاب ولكن عقابه تحت مشيئة الله.

والكتاب والسنة مشتملة على نصوص الوعد والوعيد، وكل من النصوص حقٌ يُفَسّر الآخر ويُبَيِّنه، **فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط**؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله.

فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن دل على أن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين.

وكذلك تناولُ نصوص الوعد للشخص مشروط بأن يكون عمله خالصًا لوجه الله موافقًا للسنة.

وكذلك تناولُ نصوص الوعيد للشخص مشروط بأن لا يكون متأولًا ولا مجتهدًا مخطئًا، أو معذورًا بجهل أو إكراه أو نسيان، فإن الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان.

قوله: (وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ).

الحرورية: هم الخوارج سُموا حرورية نسبة إلى قرية حروراء بالعراق قريبًا من الكوفة اجتمعوا فيها حين خرجوا على علي رضي الله عنه فسُمّوا حرورية.

والمعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري، وأخذ يُقرر أن مرتكب الكبيرة لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، ولكنه بمنزلةٍ بين المنزلتينِ، فقال الحسن: اعتزل عنا واصلٌ، ويُلَقَّبون بالقدرية نسبة إلى إنكارهم القدر.

ومراد المؤلف بأسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق.

فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة يغلون في هذا الباب تسمية وحكمًا، فيجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويُخرجونهم من الإيمان بالكلية هذا في الآخرة، وأما في الدنيا: فالخوارج يكفرون المسلم بالكبائر ويقولون: هو مُخَلَّدٌ في النار، والمعتزلة يقولون: هو ليس بمؤمن ولا كافر ولكن بمنزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة مخلدٌ في النار.

وأما المرجئة والجهمية فقالوا: ليس من الإيمان فعل الواجبات ولا ترك المحظورات، وقالوا: الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقص.

فالإيمان عند المرجئة مجرد التصديق والأعمال غير داخلة فيه.

وعند الجهمية مجرد المعرفة والأعمال غير داخلة فيه، فإيمان أفسق الناس عندهم كإيمان الأنبياء والمرسلين، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب.

فالخوارج والمعتزلة غلوا، والمرجئة والجهمية جفوا.

وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط، فقالوا: الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وصاحب الكبيرة مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته.

وأما حكمه في الآخرة: فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة، ولا يُكَفّرون بفعل الكبيرة وإنما يكفرون بالنواقض التي دلَّت الأدلت على كفر فاعلها، وهذا هو الحق الذي تدل عليه أدلة الكتاب والسنة، وعليه السلف الصالح والأئمة.

قوله: (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ والْخَوَارِجِ).

بَيَّنَ وسطية أهل السنة في أصحاب رسول ﷺ بين الرافضة والخوارج.

الرافضة من الرفض وهو الترك، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم لما خرج زيد بن علي في الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك سألته الشيعة عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فترحم عليهما فطلبوا منه أن يتبرأ منهما، فقال: معاذ الله وزيرا جدي، فرفضوه فسُمّوا رافضة، وتولاه طائفة فسُمّوا زيدية، والروافض فرق شتى.

وقد تكفَّل شيخ الإسلام ببيان مذهبهم والرد عليهم بالتفصيل في كتابه منهاج السنة.

ويلقبون بالشيعة، وكان هذا اللقب في الأصل للذين شايعوا عليًّا، كسلمان وأبي ذر المقداد وعمار رضي الله عنهم، ثم صار بعد ذلك لقبًا على من يرى تفضيله على كل الصحابة مع أمورٍ أخرى لا يرضاها علي رضي الله عنه ولا أحد من ذريته ولا غيرهم ممن يُقتدى بهم، ثم لمَّا رفضوا زيد بن علي سُمّوا الرافضة.

والرافضة من أخبث الطوائف حتى أخرجهم بعض العلماء من فرق الأمة، وروي عن الشعبي قوله: «أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة»، وكلام أهل العلم فيهم كثير.

والحاصل: أن الرافضة غلوا في أهل البيت حتى قالوا بعصمة بعضهم، واعتقدوا أن عليًّا أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، بل كفروهما، واعتقدوا أن عليًّا الإمام المعصوم دونهما، بل منهم من صرف شيئًا من العبادة لهم.

وكفروا الصحابة رضي الله عنهم غير من تولوهم من آل البيت وعدد يسير معهم.

وأما الخوارج فكفّروا عثمان رضي الله عنه واستحلوا دمه وكفروا عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما، واستحلوا قتالهما، وقدحوا في خلافة علي وعثمان رضي الله عنهم.

فالخوارج والرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ طرفي نقيض، فالرافضة غلوا في أهل البيت وكفروا جميع الصحابة كالخلفاء الثلاثة ومن والاهم أو

فسقوهم، وكفروا من قاتل عليًّا وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، فلا يتولى أحد عليًّا حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

والخوارج: سُمُّوا بذلك لخروجهم على علي رضي الله عنه **ومفارقتهم له.**

والخوارج أول من كفَّر المسلمين بالذنوب، ويُكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة علي رضي الله عنه، فعاقب الطائفتين، **أما الخوارج** فقاتلوه فقتلهم، **وأما الشيعة** فحرق غلاتهم بالنار، وأمر بجلد كل من يفضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذم الخوارج، وقد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، خرَّجها مسلم في صحيحه، وخرَّج البخاري طائفة منها ومن ذلك:

قوله ﷺ في حقهم: **«يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**[(١)].

وقوله ﷺ: **«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»**[(٢)].

وقوله ﷺ: **«سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا**

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقوله ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ(٢).

والخوارج: كفَّروا عليًّا وعثمان رضي الله عنهما ومن والاهما.

وأما أهل السنة فقولهم في الصحابة وسط لم يغلوا ولم يجفوا، والوا جميع الصحابة من آل البيت وغيرهم وأحبوهم وعرفوا فضلهم وسابقتهم وصحبتهم، وأنزلوهم منزلتهم التي يستحقونها، فلم يغمطوهم حقهم ولم يغلوا فيهم، واعتقدوا أنهم أفضل هذا الأمة علمًا وعملًا - رضوان الله عليهم أجمعين -، والنصوص على هذا كثيرة جدًّا.

ومنها: ما في الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةَ**» أَوْ «**فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلِ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»(٢) وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة، منها: عامةٌ، ومنها: خاصٌّ بالمهاجرين، ومنها: خاصٌّ بالأنصار، ومنها: خاصٌّ بالآحاد فردًا فردًا، ومنها: القطع لأحدهم بالجنة مطلقًا، ومنها: القطع لبعضهم بمجاورة رسول الله ﷺ في الجنة، وهي مشهورة.

فهذه وسطية أهل السنة بين الفرق في هذه الأبواب المهمة والمسائل الكبيرة.

فأهل السنة في كل مقام أصح نقلًا وعقلًا من غيرهم، وهذا من تمام ظهور ما أرسل به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ظهوره بالحجة وظهوره بالقدرة... فأهل السنة نقاوة المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

= ورواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

ورواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**».

[وجوبُ الإيمانِ باستواءِ اللهِ على عرشهِ، وعُلُوِّهِ على خلقهِ ومعيَّتِهِ لخلقهِ، وأنَّهُ لا تَنَافِيَ بينهما]

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ).

ما ذكره المؤلف من علو الله على خلقه، واستواءه على عرشه، وأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، دلَّ على ذلك نصوص الوحيين وإجماع سلف الأمة.

قوله: (وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك **قوله:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾).

تقدم الكلام على معية الله الخاصة والعامة.

فإثبات عُلُوِّه على خلقه لا ينفي معية الله لخلقه، فقد أخبر أنه استوى على العرش، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، فعُلُوّه لا يناقض معيته.

فمنهج أهل السنة أن الله مستوٍ على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، فعُلُوّه لا يناقض معيَّته، ومعيَّته لا تبطل عُلُوّه، وكلاهما حق.

قوله: (وَلَيْسَ مَعْنَى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرُ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ).

بيَّن هنا بطلان ما توهمه الضالون وشَبَّه به المخالفون من أن إثبات المعية يقتضي مخالطة ذات الرب للخلق، **فبيَّن بطلان هذه الشبهة من أوجه**:

الأول: أن هذا خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة أن الرب بائن من خلقه.

الثاني: أن هذا خلاف ما فطر الله عليه الخلق، فقد فطرهم عند نزول الشدائد أن يتوجهوا إلى العلو، لا يلتفتوا يمنة ولا يسره، فطرة الله التي فطر الناس عليها.

الثالث: أن هذا التوهم لا توجبه اللغة؛ لأن كلمة (مع) إذا أطلقت فإن معناها في اللغة المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، كقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ [النساء: ١٤٦].

ومثل هذا في كلام الله كثير، وكذا في كلام العرب، فإذا كان هذا في حق المخلوق مع المخلوق لا تدل على اختلاط ذاته بذاته، فلأن يكون في حق الخالق بطريق الأولى.

الرابع: مما يدفع هذا الوهم الفاسد المثل المضروب، يقال: سرنا والقمر

معنا، وهو مع المسافر والمقيم، ولا يشك عاقل أنه غير مخالط مع الناس مع كونه معهم حقيقة، وهذا في حق المخلوق مع المخلوق، ففي حق المخلوق مع الخالق أيضًا بطريق الأولى، وهذا مثل للتقريب لبيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فلله المثل الأعلى، ليس كمثله شيء.

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ. وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ).

لأن إثبات معيته سبحانه لخلقه لا يناقض علوه، فنثبت كل ما دل عليه الكتاب والسنة على حقيقته مع اعتقادنا أن أوصاف الرب ليست كأوصاف الخلق، فإن له أوصافًا تليق بجلاله وعظمته.

وقد بيَّن شيخ الإسلام أن النفاة للعلو ونحوها من الصفات معترفون بأنه ليس مستندهم خبر الأنبياء لا الكتاب ولا السنة ولا أقوال السلف الصالح، ولا مستندهم فطرة العقل وضرورته، ولكن يقولون معنا النظر العقلي.

وأما أهل السنة المثبتون للعلو، فيقولون: إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع فطرة الله التي فطر العباد عليها، وضرورة العقل مع نظر العقل واستدلاله.

قوله: (وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظاهِرَ قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجماعِ أَهلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فإن الله قد ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وَهُوَ الذي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن

تَزُولَاۚ﴾. ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾).

بيَّن هنا أنه يجب أن تُصان النصوص عن الظنون الكاذبة والأوهام الفاسدة التي لا تليق بالرب ولا بالشرع، وتُصان عن كل ظنٍّ لا يدل عليه الكتاب أو السنة، بل تُحمل على ظواهرها على وجه الكمال؛ لأن الكتاب والسنة أبيَّن وأصدق كلام، وهو كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهم أعلم بالرب جلَّ وعلا وبالشرع.

ثم بيَّن أن أهل السنة إذا قالوا: إنه فوق العرش أو في السماء، لا يقولون: إن هناك شيء يحويه أو يحصره، تعالى الله عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، ومستغنٍ عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو غني عن العرش وعن كل مخلوق.

وأما قوله: (﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾).

فمعناه: أنه فوق السماء؛ لأن (في) بمعنى فوق، كما قال سبحانه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي فوقها، ثم إن لفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا، فهو اسم جنس للعالي.

❊ ❊ ❊

[وجوبُ الإيمانِ بقربِ اللهِ من خلقهِ وأنَّ ذلك لايُنافي عُلُوَّهُ وفوقيتَهُ]

(وَقَد دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]. وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ»(١). وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).

في هذا إثبات قرب الله، وأهل السنة يثبتون ذلك لله كما نطقت به الأدلة على ما يليق بجلال الله، وهو قرب يليق به سبحانه كسائر صفاته، ولا ينافي العلو والفوقية، فهذا من نعوت جلاله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّهْ   لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّهْ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ   وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٩).

[وجوبُ الإيمانِ بأن «القرآن» كلامُ اللهِ حقيقةً]

فصل: (وَمِنَ الإِيمَانِ باللهِ وَكُتُبِهِ: الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّل، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلامَ غَيْرِهِ. وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ).

شرع الآن في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن، وتقدم بيانه.

فأهل السنة يؤمنون بأن القرآن كلام الله، مُنَزَّلٌ غير مخلوق، وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة.

وهذه المسألة جرى بسببها الابتلاء على الإمام أحمد، وأول من عُرِف أنه قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم، فضحى به خالد القسري، ثم أخذها الجهم بن صفوان فأشهرها.

ويدل لمعتقد أهل السنة أدلة كثيرة ذكرها المؤلف في أول هذه الرسالة، ومنها: قوله: سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقول الرسول ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١).

---

(١) سبق تخريجه (ص ٨٦).

قوله: (مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ).

هكذا عبّر به غير واحد من السلف.

(منه بدأ) أي: هو المتكلم به، لم يُبتدئ من غيره، فالمتكلم بالقرآن هو الله، والقرآن كلامه، ومقصود السلف بهذا الرد على الجهمية.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ**» يَعْنِي الْقُرْآنَ[(١)] رواه أبو داود والحاكم وصححه.

قوله: (وَإِلَيْهِ يَعُودُ).

أي: إليه يرجع حين يسرى بالقرآن في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، وهذا من أشراط الساعة[(٢)].

روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**وَلَيُنْتَزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ**» قَالُوا: يَا أَبَا عبد الرَّحْمَنِ، أَلَسْنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «**يُسْرَى عَلَى الْقُرْآنِ لَيْلًا فَيُذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ**»[(٣)] وكذا روي عن حذيفة ومعاذ رضي الله عنهما.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٨٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٤)، شرح العقيدة الأصبهانية (ص٣٣).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٤١ (٨٧٠٠)، وابن المبارك في الزهد (ص٢٧٧)، وعبد الرزاق في المصنف (٥٩٨٠)، والحاكم (٨٥٣٨) وغيرهم، موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.
قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٦): «سنده صحيح، لكنه موقوف». =

قوله: (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ).

قرّر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هنا معتقد أهل السنة والجماعة في كلام الله، ثم ردَّ على طائفتين ضلتا فيه، وهما: الأشاعرة، والكُلَّابية.

فمعتقد أهل السنة أن القرآن كلام الله حقيقة: حروفه ومعانيه.

وأما ابن كُلَّاب فقال: الحروف حكاية عن كلام الله، وليست من كلام الله.

وأما الأشاعرة فقالوا: إن القرآن الموجود هو عبارة عن كلام الله.

وكلا الطائفتين أنكرتا أن تكون الحروف والكلمات كلام الله، وهذا القول باطل مخالف للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه سلف الأمة.

وأول من قال: أنه عبارة عن كلام الله الأشعري، وهو قول باطل كالقول بالحكاية، والأدلة دلّت على أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله.

= ورواه ابن ماجه (٤٠٤٩) من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا، بلفظ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ...»، صححه ابن الحاكم (٨٤٦٠)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٩٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٧١). وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٦): «أخرجه ابن ماجه بسند قوي».

ولذا قال المؤلف: «وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عنه».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «القرآن كيف تَصَرَّف فيه فهو غير مخلوق، ولا نرى القول بالحكاية والعبارة»، وغلَّط من قال بهما وجهَّله، وقال: هذه بدعة لم يقل بها السلف(١).

قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل ما هو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله، والأصل الحقيقة، ومن قال بالحكاية أو العبارة فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالًا.

فالقرآن كلام الله سواء حُفِظ في الصدور، أو كُتِب في المصاحف، أو تُلِي بالألسنة فكله كلام الله ولا يخرج عن أن يكون كلامه؛ لأن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله ابتداء لا إلى من قاله مبلغًا مؤدِّيًا، وأن الله تكلَّم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه.

قوله: (وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ).

هذا الصواب الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وسائر الأمة قبلهم وبعدهم، اتباع النصوص

---

(١) انظر: السنة للخلال (٥/ ١٣١)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٥/ ٣٠٧)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٧٥).

الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلام غيره.

[وجوبُ الإيمانِ برؤيةِ المؤمنينَ لربِّهم يومَ القيامةِ ومواضِعُ الرُّؤيةِ]

قوله: (وَقَد دَخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ، وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

والأدلة كثيرة في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا، وهي رؤية حقيقية نثبتها كما نثبت سائر الصفات، وهي كرامة من الله لعباده المؤمنين. **وقد أخطأ في هذا طوائف:**

فمنهم من أنكر الرؤية بالكلية، وهم الجهمية، وهؤلاء مبتدعة ضُلَّال؛ لتكذيبهم الكتاب والسنة.

ومنهم من قال: إن الله يُرى من غير جهة ولا معاينة، وهذا قول الأشاعرة، وهو قول باطل انفردوا به عن سائر طوائف الأمة.

وفساد هذا معلوم بالضرورة؛ فالأخبار المتواترة عن الرسول ﷺ ترده،

كقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ والقمرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[١]، فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي.

ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانًا مواجهة، فربنا نراه كذلك، وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجهه فهذه غير متصورة في العقل فضلًا عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر.

وتشبيه رؤية المؤمنين ربهم برؤيتهم الشمس أو القمر صحوًا ليس دونهما سحاب؛ لأنه ليس في الموجودات المرئية في الدنيا أعظم من هذين، ولا يمكن أن يراهما الإنسان أكمل من الرؤية التي وصفها النبي ﷺ، وهذا يبين أن المؤمنين يرون ربهم أكمل ما يعرف من الرؤية.

وأهل السنة متفقون على أن الله سبحانه لا يراه أحد بعينه في الدنيا، لا نبي ولا غير نبي، وعلى هذا دلّت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، والصحابة، وأئمة المسلمين.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ»، وفي لفظ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ»[٢].

وروى مسلم عن الرسول ﷺ قال: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**»[٣].

ولمسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال:

---

(١) سبق تخريجه (ص ٩٠).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (١٦٩) من حديث عمر بن ثابت، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(١).

ومن قال: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا، فهو مبتدعٌ ضالٌّ مخالفٌ للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

قوله: (يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

■ **دلَّت النصوص على أن الله يُرى يوم القيامة، ولكن هل الرؤية خاصة بالمؤمنين أم تعم المنافقين والكفار؟، والجواب عن هذا:**

أولًا: أما المؤمنون: فيرون الله ﷻ يوم القيامة، يرونه في العرصات، ويرونه بعد دخولهم في الجنة، كما دلَّت عليه أدلة الكتاب والسنة.

ورؤيتهم في العرصات ليست نظير ما يكون في الجنة، وكذلك رؤيتهم الله في الجنة على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، وهي أعلى نعيم الجنة(٢).

ثانيًا: وأما المنافقون: ففي حديث أبي هريرة(٣) وأبي سعيد رضي الله عنهما(٤) أنه سبحانه وتعالى يجيء في القيامة للمؤمنين والمنافقين، فيسجد المؤمنون دون المنافقين.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ**

---

(١) رواه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث صهيب رضي الله عنه، رواه مسلم (١٨١).

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ».

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا**».

واختلف هل هذه رؤية خاصة في العرصات ثم يكون الحرمان، أم أنهم محرومون من رؤيته على صفته ابتداء حتى في العرصات على قولين[١].

ثالثًا: وأما الكفار: فالراجح أنهم لا يرون الله بحال، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين[٢].

[مايدخُلَ في الإيمانِ باليوم الآخرِ]

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ).

فالإيمان باليوم الآخر أصلٌ من أصول الإيمان:

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر الله به رسوله ﷺ مما يكون عند نزول السكرات، وما يحصل في القبور، وما يكون في الآخرة من الحساب والصراط والعذاب والنعيم، نُؤمن بها على حقيقتها، كما نطقت بها

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥-٥٠٦)، فقد ذكر المسألة والخلاف فيها.

(٢) انظر: شرح الواسطية لابن العثيمين (٢/١٠٣-١٠٤)، شرح الواسطية لصالح آل الشيخ (٢/ ١٩١).

النصوص مع اعتقادنا أن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا، كما قال الرسول ﷺ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**»(١) رواه مسلم.

قوله: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ).

الفتنة هنا المراد بها الامتحان والاختبار للميت حيث يسأله الملكان، ونصوص السنة في إثبات عذاب القبر بلغت مبلغ التواتر، رواها أئمة السنة عن الجَمِّ الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ**».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

ومَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**» ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[(١)] متفق عليه من حديث ابن عباس ﷺ.

وهذا عام للمسلم، والفاجر، والمنافق.

واختُلِف في الصغار الذين لم يُكَلَّفُوا هل يُمتحنون في القبور أم لا؟:

فقيل: لا يمتحنون؛ لأن السؤال إنما يكون للمكلف، ذكره القاضي أبو يعلى وابن عقيل.

وقيل: يمتحنون، وهذا قول أكثر أهل السنة؛ لما رواه مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[(٢)]، وهذا يدل على أنه يُفتن، وهذا مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم[(٣)].

مسألة: هل السؤال في القبر يشمل الكافر، أم أنه خاص بمن ينتسب للإسلام فقط من مسلم وفاجر ومنافق؟

مذهب جمهور العلماء، واختاره شيخ الإسلام، وابن القيم، وابن حجر[(٤)]: أنه عام للمؤمن، والفاسق، والكافر، كما دل على ذلك عموم أدلة الكتاب والسنة، كما في قوله سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقد نزلت في عذاب القبر، كما في الصحيحين[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه مالك في الموطأ- رواية أبي مصعب الزهري (١٠١٧). وعبد الرزاق في المصنف (٦٦١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٧).

(٤) انظر: الروح لابن القيم (ص٨٣و٨٤)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٥) رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وفي البخاري أن الرسول ﷺ قال: «وأما الكافرُ والمنافقُ فيقول: لا أدري».

وأيضًا اختار ابن القيم، والاشبيلي، والقرطبي[١]: أن السؤال عام للأمم كلها وليس خاصًا بهذه الأمة، فنؤمن بفتنة القبر وأنها حق، ولا يسلم منها أحد إلا من استثناهم النص، وهو الشهيد في سبيل الله[٢]، وكذا من مات مرابطًا، كما في الصحيح: «**وأَمِنَ الفتَّان**»[٣].

قوله: (وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ).

مذهب أهل السنة والجماعة أن الميت إما أن يكون في نعيم أو عذاب، والأدلة على ذلك متواترة، منها:

قوله سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

وقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾ [نوح: ٢٥].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

---

(١) انظر: الروح لابن القيم (ص٨٦)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٠).

(٢) كما في حديث راشد بن سعد، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلًا قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»: رواه النسائي (٢٠٥٣). صححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٣٦).

وكما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ...**»: رواه الترمذي (١٦٦٣)، وقال: «صَحِيحٌ غَرِيبٌ». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٦٤٧).

(٣) رواه مسلم (١٩١٣) من حديث سلمان رضي الله عنه.

وفي الصحيحين قوله ﷺ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»(١).

وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(٢).

وقول عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ، فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ! فَقَالَ: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**» ثُمَّ قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(٣) متفق عليه.

وفي الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٤).

قوله: (فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ(٥)).

وأدلة هذا كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ**

(١) سبق تخريجه قريبًا (ص ١٣٩).

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها: رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٦١٤). صححه =

أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ.

قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[1] متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن النبي ﷺ قال: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾»[2] متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا». قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ. قَالَ: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ﷻ ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ».

= الحاكم (١/ ٩٣)، والألباني في أحكام الجنائز (ص١٥٩).

وقال ابن القيم في الروح (ص٤٨): «هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلًا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومساءلة منكر ونكير، وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر».

(١) سبق تخريجه قريبًا (ص ١٣٨).

(٢) سبق تخريجه قريبًا (ص ١٤١).

قَالَ: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا، وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ. قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ**»[١] رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد دلَّت الأحاديث أن الروح إذا قُبِضَت عُرِج بها إلى السماء في أدنى زمن، ثم تُعاد إلى البدن فتُسْأَل وهي في البدن.

واختُلف في إقعاد الميت وسؤاله، وما يكون في هذه الفتنة هل هو على الروح فقط، أم على الروح والبدن؟

والصحيح: أن روح الميت في قبره تقعد وتجلس، وتُسأل، وتنعم وتعذب، وتصيح، وذلك متصل ببدنه مع كونه مضطجعًا في قبره، وهذا من عالم الآخرة، وعالم الآخرة يختلف عن عالم الدنيا، فنثبته من غير خوض في التفصيل إلا بما دلَّ الدليل عليه[٢].

قوله: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ).

كما قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ**». قَالَ: «**ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣] متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فالناس بعد السؤال والاختبار قسمان في قبورهم: إما منعم، وإما معذب، كما في الأحاديث الصحاح أنه يفتح له باب إلى الجنة أو إلى النار.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢)، الروح (ص٥١).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعذاب القبر في الجملة نوعان:

الأول: عذاب دائم، وهذا حال الكفار، ويدل له: قوله سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

الثاني: عذاب إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفَّت جرائمهم، فيُعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كمن يُعَذّب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب عمل صالح[1].

قوله: (إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ. فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾. وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَّراءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾).

وكل هذا قد دلَّت عليه الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ.

(١) انظر: الروح (ص٨٩)، أهوال القبور لابن رجب (ص٦٠)، شرح الواسطية لابن العثيمين (١٢٣/٢).

قوله: (وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ الْآيَاتِ [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨]، وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[١] متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا عَمِلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟**»[٢] رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وقال: «حسن صحيح».

قوله: (وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا).

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

صححه الترمذي، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٢٩).

الكفار هل يحاسبون أم لا؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفصل الخطاب: إثبات الحساب بمعنى عدّ الأعمال وإحصائها وعرضها عليهم لا بمعنى إثبات حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم»(١)، فيقررون بأعمالهم، ليعطى كل واحد من العذاب بمقدار ما عليه من الكفر.

وأدلة هذا كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ**»(٢) متفق عليه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله ﷺ في النجوى: «**يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يضع عليه كنفه فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: أَنَا سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوِ الْكُفَّارُ: فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**»(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٢٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[حوضُ النَّبيِّ ﷺ ومكانُهُ وصفاتُهُ]

قوله: (وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ: الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنِ يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا).

فأهل السنة يؤمنون بالحوض، وبما صح من أوصافه، والأحاديث فيه متواترة.

ففي الصحيحين عن ابن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»**[1].

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: **«أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ»**[2].

وقوله ﷺ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»**. فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٤٩٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»(١) رواه مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وسُئِل عن شرابه، فقال: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(٢) رواه مسلم من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولما قيل: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ»(٣) رواه مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: (وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ).

وهذا ظاهر النصوص أن الحوض قبل الصراط؛ لأنه يُختلج ويُمنع منه أقوام ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

[الصِّراطُ: معناهُ ومكانُهُ وصفةُ مُرورِ النَّاس عليهِ]

قوله: (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ: مَنْ يَمُرُّ

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم (٢٣٠١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) رواه مسلم (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم: مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم: مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم: مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم: مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم: مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم: مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم: مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُم: مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم).

وأهل السنة يؤمنون بالصراط، وأنه حقٌّ على ظاهره كما دلَّت عليه النصوص، وشأن الآخرة وأحوالها ليس كشأن الدنيا.

والصراط قنطرة بين الجنة والنار، وجسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، يَرِدُهُ الأولون والآخرون بعد مفارقة الناس الموقف، يمرون بظلمة، ثم الجسر مضروب على متن جهنم لا يصل أحد للجنة إلا بعد عبورها، كما قالت عائشة رضي الله عنها: **إن رسول الله** ﷺ سُئِل أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»**[١] رواه مسلم.

والجسر عليه خطاطيف وكلاليب تخطف الناس، كما قال ﷺ في وصفه: **«مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ، مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»**[٢] متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ومعنى مدحضة: أي زلق تزلق فيه الأقدام.

---

(١) رواه مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(٢) رواه مسلم.

وقد فسَّر غير واحد من العلماء قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] بأنه المرور على الصراط(٣).

[القنطرةُ بينَ الجنَّة والنَّارِ]

قوله: (فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ).

فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان (١٨/ ٢٣٠-٢٣٤)، أضواء البيان (٣/ ٤٧٧-٤٨٢).

وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(١) رواه البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قوله: (وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ).

أي: أول من يطلب فتح باب الجنة والدخول فيها محمد ﷺ، كما قال ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢) رواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

وأمته أول الأمم دخولًا الجنة؛ لقوله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وذلك لفضلها وكرامتها على الله، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**»(٤) رواه

(١) رواه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد (٢٠٠٢٩)، والترمذي (٣٠٠١) من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه. حسنه الترمذي، والألباني في صحيح الجامع (٢٣٠١). وصححه الحاكم (٦٩٨٧)، وابن حجر في الفتح (٨/ ٢٢٥).

أحمد.

وقال ﷺ: «**الْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي**»[١] رواه الطبراني من حديث عمر رضي الله عنه.

فأمة محمد ﷺ أسبق الأمم خروجًا من الأرض.

وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف.

وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم.

وأسبقهم إلى الجواز على الصراط.

وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة لا يدخلها أحد من الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، و لا يدخلها أحد من الأمم حتى تدخلها أمته.

وأما أول الأمة دخولًا: فأبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما رواه أبو داود في السنن[٢].

قوله: (وَلَه ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ).

الشفاعة: هي سؤال الخير للغير، وطلب التجاوز عن الذنوب، أو إيصال خير إليه.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤٢) من حديث عمر رضي الله عنه.
قال أبو زرعة -كما في العلل لابن أبي حاتم (٥/ ٥٣٥)-: «هذا حديث منكر، لا أدري كيف هو؟». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٣٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
صححه الحاكم (٤٤٤٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٢٢٩)؛ في إسناده أبي خالد الدالاني، صدوق يُخطيء كثيرًا، وكان يُدلس (التقريب ص٦٣٦).

والشفاعة تواترت بها الأدلة في السنة، ومنها: قوله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**»(١) متفق عليه.

والناس في الشفاعة ثلاثة أصناف: غلاة، وجفاة، ووسط.

أما الغلاة: فأثبتوها حتى للأصنام والأوثان، وهم المشركون ومن وافقهم من مبتدعة هذه الأمة، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وأما الجفاة: وهم الخوارج والمعتزلة: فأنكروا شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

وأما الوسط فهم أهل السنة والجماعة: أثبتوا الشفاعة للنبي ﷺ، ولغيره من الأنبياء والمؤمنين حسب ما جاءت بها النصوص، وبيَّنوا أنها لا تنفع الكفار.

وأن الشفاعة لا بُدَّ فيها من إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له.

وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات، هذا في الجملة، وأما مع التفصيل فهي أكثر.

قوله: (أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ(٢).

فالشفاعة الأولى: وهي أعظم الشفاعات، وتكون لأهل الموقف كلهم،

(١) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهي المقام المحمود الذي وعده ﷺ وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل اللَّهَ إيَّاه له ﷺ بعد كل أذان[١].

وقال ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»[٢] رواه البخاري.

فيشفع للخلق حتى يقضي بينهم بعد أن يعتذر الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم - عليهم السلام - عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

والشفاعة لأهل الموقف لأجل أن يقضي بينهم ثابتة بإجماع المسلمين، وصحت بها الأحاديث، وهذا هو المقام المحمود الذي اختص الله به محمدًا ﷺ.

واعتذار الأنبياء الخمسة عن الشفاعة لم يكن لنقص درجاتهم عما كانوا عليه، بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذي يستدعي مغفرة الله للعبد وكمال عبوديته لله، ولذا قال عيسى عليه السلام: «**اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»، فإنه إذا غفر له ما تأخر لم يخف أن يلام إذا ذهب إلى ربه ليشفع.

قوله: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ).

والشفاعة الثَّانِيَةُ لأهل الجنة أن يفتح باب الجنة ويدخلها أهلها، وهاتان

(١) رواه البخاري (٦١٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الشفاعتان خاصتان له، كما قال ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»**(١) رواه مسلم.

ومن الشفاعات الخاصة به: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاطه، كما رواه مسلم عن العباس رضي الله عنه أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»**، وَفِي لَفْظٍ: **«وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ»**(٢).

قوله: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَخْرُجَ مِنْهَا).

وهذه الشفاعة ثابتة بالإجماع، فإن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الرسول ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ولكن لا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»**(٣).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ**

---

(١) رواه مسلم (١٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١).

وأنكرت الخوارج والمعتزلة شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال؛ فإنهم زعموا أن أهل الكبائر مخلدون في النار.

قوله: (وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ).

كما قال ﷺ: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(٢).

قوله: (وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ).

وقد بيَّنه ﷺ بقوله: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ**»(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه (ص ١٠٢).

وقد دلَّ الكتاب والسنة وأقوال الأئمة أن عصاة أهل التوحيد يوم القيامة ثلاث طبقات:

الأولى: قوم رجحت حسناتهم على سيئاتهم؛ فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة، ولا تمسهم النار.

الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهم أصحاب الأعراف في أصح أقوال أهل العلم، يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله؛ ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مُصِرّين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد؛ فرجحت سيئاتهم بحسناتهم؛ فهؤلاء مستحقون للثواب والوعيد، وهم تحت المشيئة، إن شاء الله عذبهم ثم أدخلهم الجنة، وإن شاء غفر لهم؛ فمنهم: من يُشْفَع له فلا يُعَذّب، ومنهم: الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم: من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم: من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم: من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم: من تأخذه إلى حقويه، ومنهم: من فوق ذلك؛ حتى إن منهم من لا يحرم منه على النار إلا أثر السجود، حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود[١]، وهؤلاء كلهم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده، والأولياء، والملائكة، ومن شاء الله أن يكرمه؛ فيحد لهم حدًّا، فيخرجونهم، ثم يحد لهم حدًّا فيخرجونهم، ثم هكذا، فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه نصف دينار من خير، ثم بُرة، ثم خردلة، ثم ذرة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: «**ربنا لم نَذَرْ فيها خيرًا**»[٢].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: رواه مسلم (١٨٣).

قوله: (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ).

وأدلة ما يكون في الآخرة من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، فعلى المؤمن الإطلاع عليها واعتقاد ما فيها.

وأشار شيخ الإسلام إلى أن العلم الموروث عن الرسول ﷺ ثلاثة أقسام:

الأول: علم بالله، وبأسمائه وصفاته.

الثاني: علم بما أخبر الله به مما كان في الأمم والأمور الماضية، وما يكون في المستقبل من القيامة والجنة والنار ونحوها.

الثالث: علم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الحلال والحرام، والواجب والمستحب، وأصول الدين وقواعد الإسلام وأركانه، مما هو مذكور في كتب الفقه.

وإلى هذا أشار ابن القيم في قوله:

والعِلْمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لَهَا ... مِنْ رابعٍ والحقُّ ذُو تبيانِ
عِلْمٌ بأوصافِ الإلهِ وفعلِهِ ... وكذلكَ الأسماءُ للرحمنِ
والأمرُ والنهيُ الذي هُوَ دينُهُ ... وجزاؤهُ يومَ المعادِ الثانِي

❊ ❊ ❊

[الإيمانُ بالقَدَرِ، ومراتبُ القدرِ]

قوله: (وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَينِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ، فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بالْخَلْقِ، وَهمْ عَامِلونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ. فَأَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يوْمِ الْقِيَامةِ. فَما أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لمْ يَكن لِّيُصيبَهُ، جَفتِ الأَقلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قالَ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضعَ جُمْلةً وَتَفْصِيلًا: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غلاةُ الْقَدَرِيةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ).

قرّر منهج أهل السنة والجماعة في القدر، وبيانه كالتالي:

أولًا: الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، كما ذكره النبي ﷺ في حديث جبريل: «**الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وقال ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

ثانيًا: منهج أهل السنة أن كل شيء بقضاء وقدر، فالخير والشر والنفع والضر كله بقضاء وقدر، والله يعلم كل شيء قبل وقوعه، وخلق كل شيء، ولا يكون شيء إلا بمشيئته.

ثالثًا: أهل السنة يثبتون مراتب القدر الأربع، ويؤمنون بها:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد عَلِم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، وأسرارهم وعلانيتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، قَالَ تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ [سبأ: ٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: **«اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»**(١).

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة ذلك، وأنه تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم.

كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥١-٥٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**.

وهاتان المرتبتان تنكرهما غلاة القدرية، فينكرون أن الله يعلم بالأشياء قبل وقوعها، وينكرون كتابتها، وهذا القول ظهر على يد معبد الجهني في آخر عهد الصحابة، فتبرؤوا منهم وأنكروا مقالتهم، وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمن بلغه

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ذلك: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم بُرئَاءُ مني[1]. وهذا كلام ابن عمر، وابن عباس، وواثلة بن الأسقع ﷺ[2].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السموات ولا في الأرض ولا بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة كثيرة، كقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]. هذه مراتب القدر الأربعة جمعها الناظم بقوله:

علم كتابة مولانا مشيئته ... وخلقهُ وهو إيجادٌ وتكوين

فيجب على العبد أن يؤمن بالقدر كله خيره وشره، ولا يجوز الاحتجاج به في ترك أوامر الله وفعل نواهيه، بل يجب أن نؤمن بذلك، ونعلم أن الله أقام علينا الحجة بإنزال الكتب وإرسال الرسل.

---

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

وإلى بقية المراتب أشار المؤلف بقوله:

(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ).

فالدرجة الأولى: متضمنة العلم، والكتابة.

والدرجة الثانية: متضمنة المشيئة، والخلق.

قوله: (وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم، وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾).

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلَّت عليه الأدلة أن العبد له إرادة ومشيئة وقدرة، يفعل بمشيئته، وقد جاءت النصوص بنسبة الفعل للعبد

وكذا الإرادة له، كما في قوله سبحانه: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ﴿يَفْعَلُونَ﴾، ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

وأيضًا: يؤمنون بأن العباد وأفعالهم كلهم تحت مشيئة الله وإرادته.

ففي قوله: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ).

ردٌ على الجبرية الذين يقولون: إن العبد لا فعل له، بل هو مجبور على أفعاله بغير اختياره، وقالوا: فعله بمنزلة حركات المرتعش لا حول له فيها ولا مشيئة.

وفي قوله: (وَاللهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُم).

ردٌ على القدرية الذين يقولون: إن الله لم يخلق أفعالهم، وأنها بمشيئتهم دون مشيئة الله.

قوله: (وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ).

فيه نسبة أفعال العبد إليه، فالعبد هو المصلي والصائم والمسلم والكافر، والله يعاقبهم ويثيبهم على أفعالهم التي فعلوها حقيقة.

قوله: (كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾).

وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد، وأنها لا تكون إلا

بمشيئة الرب.

قوله: (وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا).

فالقدر من المسائل العظيمة، وقد ضلَّ فيه طائفتان من الناس:

الأولى: القدرية: أنكروا تقدير الله السابق، وغلوًّا في إثبات قدرة العبد، وزعموا أن في المخلوقات ما لا يتعلق بقدرة الله ولا مشيئته.

وهؤلاء ضُلَّال مبتدعة، مخالفون للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهذا القول يتضمن الإشراك والتعطيل، ويتضمن إخراج الحوادث عن أن تكون بقدرة الله وتقديره، وقد سماهم الرسول ﷺ مجوس هذه الأمة، فقد روى أبو داود عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**»(١).

وقد اختلف العلماء في تكفير هؤلاء، وقد نص الإمام الشافعي وأحمد على

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الحاكم في المستدرك (١/ ١٥٩): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر، ولم يخرجاه وشاهده». وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٢).
وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٣/ ٢٧٢): «هذا منقطع؛ أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقد روى هذا الحديث عن طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت».
لكنه صح موقوفًا عن بعض الصحابة: قال الدارقطني في العلل (١٣/ ١٠٢): «والصحيح الموقوف، عن ابن عمر». وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٣٢): «ولهذا شبَّه السلف القدرية النفاة بالمجوس، وقالوا: هم مجوس هذه الأمة، صح ذلك عن ابن عباس».

تكفير من أنكر العلم القديم(١).

الطائفة الثانية: الجبرية: وهم الذين يثبتون القدر والإرادة لله، وينكرون مشيئة المخلوق، فغلوا في نفي أفعال العباد حتى سلبوهم القدرة والاختيار، وزعموا أنهم لا يفعلون ولا يشاؤون شيئًا ألبتة، وإمام هؤلاء الجهم بن صفوان.

وهذا القول باطل بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، فإننا نفرق بالضرورة بين حركة المرتعش وحركة البطش، ونعلم بأن الثاني باختياره بخلاف الأول، ولو لم يكن للعبد فعل أصلًا لما صلح تكليفه، ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله.

قوله: (وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا).

فأهل السنة يثبتون حكمة الله في أفعاله وشرعه وقدره، ويقولون: ما خلق الله شيئًا ولا قضاه ولا شرعه إلا لحكمة بالغة، وإن تقاصرت عنها عقول البشر، والأدلة في ذلك كثيرة، ومنها: قوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

فالله حكيم في شرعه وفي تقديره وخلقه.

وأما الجهمية الجبرية: فإنهم ينكرون حكمة الله، ويزعمون أن الله لا يفعل لحكمة، وإنما هو محض مشيئة وتصرف مجرد عن الحكمة والرحمة،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢، ٧/ ٥٠٧).

وأدلة الكتاب والسنة ترد هذا، قال ابن القيم: «ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة»(١) ذكرها وردها من تسعين وجهًا.

[حقيقةُ الإيمانِ وحُكمُ مرتكبِ الكبيرةِ]

قوله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ).

ذكر هنا بعض أصول أهل السنة في الإيمان، وهي أصول عظيمة بنوها على الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، وخالفهم فيها طوائف من المبتدعة.

فمن أصولهم: أن الإيمان قول وعمل ونية، أو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وكلا التعريفين صحيح.

فقول القلب وعمله: أي: تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته.

وقول اللسان: الإقرار بالشهادتين، والنطق بهما.

فإذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، ذكره شيخ الإسلام(٢).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٢)، قال: «وقد ذكرناها في كتابنا الكبير المسمى (مفتاح دار السعادة ومطلب أهل العلم والإرادة) وبيَّنا فساد هذا الأصل من نحو ستين وجهًا، وهو كتاب بديع في معناه، وذكرناه أيضًا في كتابنا المسمى (سفر الهجرتين وطريق السعادتين)».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠-١٧١)، الإيمان الأوسط (ص٣٦٦-٣٧٠).

وعمل الجوارح ثمرة ما في القلب من قول وعمل، والظاهر تابع للباطن ولازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر.

فالقلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١).

قال البخاري: «**لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يخالف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص**»(٢)، وقال الأوزاعي: «**كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان**»(٣).

قوله: (وَأَنَّ الإيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ).

وهذا المنقول عن الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة وأئمتها: أن الإيمان الذي في القلوب يتفاضل، كما في الصحيحين: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٤).

والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها: قوله سبحانه: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٣، ٥/ ٩٥٩).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٠٧). وانظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦٣٩-٦٤٣).

(٤) رواه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»(١) متفق عليه.

وعامة السلف يرون أن إيمان العباد لا يتساوى، بل يتفاضل، وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين.

فأهل الإيمان يتفاضلون: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالسابق من عمل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

والمقتصد من فعل الواجبات، وترك المحرمات.

والظالم لنفسه من أخل ببعض الواجبات وانتهك بعض المحرمات، فكل هؤلاء يطلق عليه أنه مؤمن.

وهناك فرق بين الإيمان الكامل وبين مطلق الإيمان بيّنه شيخ الإسلام بقوله: «**إذا نقص شيء من واجباته، فقد ذهب ذلك الكمال والتمام**»(٢).

قوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾. وقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم -واللفظ له- (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/٢٠٦).

إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾).

فمن أصولهم أن المؤمن لا يُكَفَّر بمجرد الذنب، ولو كان ما فعله من الكبائر.

وأدلة هذا كثيرة، منها:

قوله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فسماهم مؤمنين مع تقاتلهم.

وثبت في النصوص وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يُجلد ولا يقتل، والشارب يجلد، والقاذف يجلد، والسارق يقطع، ولو كانوا كفارًا بفعل هذه الكبائر لما اكتفي بالجلد.

والنصوص صريحة بأن الزاني، والشارب، والسارق، والقاذف ليسوا كفارًا، فمن جعلهم كفارًا فقد خالف نصوص القرآن، والسنة المتواترة، وما أجمع عليه الصحابة ﷺ.

والمخالفون في هذا الخوارج، والمعتزلة:

فالخوارج يرون أن من فعل كبيرة فهو في الدنيا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار لا يخرج منها، لا بشفاعة ولا بغيرها، وقد لا يطبقون ذلك على كل كبيرة ولهم تفاصيل في هذا.

والمعتزلة يرون أن من فعل كبيرة فهو في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة مخلد في النار.

وأما أهل السنة فهم متفقون أن المؤمن لا يُكَفَّر بمجرد الذنب وإن كبر،

كما تقوله الخوارج، ولا يسلب جميع الإيمان، كما تقوله المعتزلة.

والذنوب التي لا يكفر بها المعاصي كالزنا والشرب، وأما مباني الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم ففي تكفير تاركها نزاع مشهور.

ومسألة التكفير من أكبر المسائل التي حصل فيها الاختلاف في الأمة، وتفرقوا فيها شيعًا.

فالخوارج غلوا فيها فكفَّروا بلا ضوابط حتى كفَّروا من لم يُكَفِّره الله ولا رسوله ﷺ، وحكموا على من وقع في كبيرة بالكفر وبالخلود في النار.

والمرجئة عطَّلوا هذا الحكم، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب ولو ترك مباني الإسلام وأركانه، وزعموا أن إيمان أفسق الناس كإيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأما أهل السنة والجماعة فهداهم الله للصراط المستقيم.

فأهل السنة يُقِرُّون أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين.

وأهل السنة قالوا: من كفَّره الله ورسوله كفَّرناه، ومن فسَّقه فسَّقناه ولم نكفره.

وأهل السنة لا يكفرون المسلمين بفعل الكبائر.

وأهل السنة قالوا: من فعل مكفرًا لم يحكم عليه بعينه بالكفر حتى تتوفر شروط التكفير وتنتفي الموانع.

فليس كل من وقع في بدعة أو قاتل المسلمين كفر، فلا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، أو خطأ أخطأ به في المسائل التي تنازع فيها أهل القبلة.

حتى الخوارج الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم واتفق أئمة الدين على قتالهم ليسوا كفارًا عند جمهور العلماء، وإنما يُقاتلون دفعًا لظلمهم وبغيهم، وكسرًا

لشوكتهم، لا لأنهم كفار، ولذا لا تُسبى نساؤهم، ولا تُغنم أموالهم، وهم قد ثبت ضلالهم بالنص والإجماع، ومع ذلك لم يكفروا، فكيف بالطوائف المختلفة الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم.

وهكذا فعل السلف، فقد حصل القتال في معركة الجمل وصفين ونحوهما وكلهم مسلمون، وقد كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين ولا يعادونهم كمعاداة الكفار، فيقبلوا شهادتهم، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون، ويتناكحون.

مسألة: وأما تكفير أهل الأهواء والبدع، فالناس مختلفون فيه، وغالب مذاهب الأئمة التفصيل:

فالقول قد يكون كفرًا ويقال: من قال هذا فهو كافر.

لكن الشخص المعين لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

وكذا البدع أصناف، فهناك بدع مغلظة يطلق على أصحابها أنهم كفار، وبدع يطلق عليهم أنهم مبتدعة ولا يكفرون.

فالرافضة الاثني عشرية كفَّرهم كبار أئمة الإسلام، كالإمام مالك، وأحمد، والبخاري، وابن حزم، وشيخ الإسلام، وغيرهم(١).

فمن اعتقد أن عليًّا نبي وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهو كافر.

ومن زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، وأن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحوها كالقرامطة والباطنية، فهم كفار(٢).

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص٣٣)، السنة للخلال (٣/ ٤٩٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٠)، الصارم المسلول (ص٥٨٦)، منهاج السنة النبوية (٧/ ٢١٩).

والجهمية المنكرون لأسماء الله وصفاته كفَّرهم كثير من أهل السنة؛ لأن أقوالهم مناقضة لما جاء به الرسول ﷺ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق(١).

ولقد تقلَّد كفرَهُمْ خمسونَ في ... عَشرٍ مِنَ العلماءِ في البلدانِ
والـلَّالكائِيُّ الإمامُ حكاهُ عَنْـ ... ـهُمْ بَلْ حكاهُ قبلَهُ الطبرانِي

وأهل السنة يعتقدون أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾. فالله سمى القاتل أخًا مع وجود القتل منه، ففيه دليل على أن العاصي لا يخرج من الإيمان بمجرد الذنوب. وفي الآية الأخرى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فسماهم مؤمنين مع وجود الامتثال بينهم، وجعلهم إخوة في الدين، فدل على أنهم لا يخرجون من الإيمان بالمعصية.

قوله: (وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ).

والفاسق شرعًا: من فعل كبيرة، أو أصر على صغيرة.

والملي: أي الذي على ملة الإسلام.

فأهل السنة والجماعة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، ولا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يخلد في النار، وأن من مات على التوحيد فلا بُدَّ أن يدخل الجنة.

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص٣٩)، الرد على الجهمية للدارمي (ص١٩٨-٢٠٦)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠-٣٥٢).

وقد بيّن الشيخ مذهبهم هنا، وقد ضلَّ في هذا الخوارج والمعتزلة، كما تقدم.

قوله: (بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾).

فالفاسق يدخل في اسم الإيمان الظاهر وهو الإسلام، فيأخذ أحكام المسلمين والمؤمنين في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فيشمل حتى الفساق.

فإذا جاء نداء للمسلمين أو المؤمنين فهو داخل معهم، ولكنه لا يدخل في اسم الإيمان الكامل.

فالزاني والشارب والسارق مؤمن ناقص الإيمان، فأهل السنة يعتقدون أنه قد سُلِبَ كمال الإيمان الواجب، لكنه لا يسلب مطلق الإيمان، ولذا قال:

قوله: (وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾
وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)].

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ).

والمقصود هنا الإيمان الكامل الواجب.

وقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...**» الحديث.

المنفي هنا كمال الإيمان الواجب لا أصل الإيمان.

فالإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة من أول وهلة، وهؤلاء ليسوا من أهله.

فاسم الإيمان المطلق لا يطلق على من ارتكب كبيرة، أو ترك فريضة.

فمعه أصل الإيمان الذي يمنع خلوده في النار، وليس معه الكمال الواجب الذي يمنع دخوله في النار، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

فإذا سُئل عن حكمه في الدنيا، كعتقه في الكفارة؟ قيل: هو مؤمن.

وإذا سُئل عن حكمه في الآخرة؟ قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة من أول وهلة، ولكن معه إيمان يمنعه الخلود في النار.

فنفي الإيمان المطلق عنهم لا يستلزم أن يكونوا منافقين؛ لأن المنفي عن الفاسق هو المجموع لا كل جزء من أجزائه.

فإعطاء الفاسق اسم الإيمان المطلق طريقة المرجئة، وسلبه مطلق الإيمان طريقة الخوارج، وأهل السنة يقولون: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وبهذا تجتمع النصوص.

* * *

[الواجبُ نحوَ الصَّحابةِ وذِكرُ فضائلهم]

(فصل: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾).

من أصول أهل السنة والجماعة محبة صحابة رسول الله ﷺ، والثناء عليهم، ونشر فضائلهم، وموالاتهم، والكف عن القدح فيهم، وعقوبة من أساء إليهم بالقول، وهذا عام وأصل مطرد لكل من صحب النبي ﷺ قليلًا أو كثيرًا.

ومن خبث القلوب أن يكون في القلب غِلٌّ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين، والأحاديث في ذلك كثيرة، منها: ما ذكره المؤلف بقوله:

(وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١) متفق عليه).

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٢٣).

ففي هذا دليل على أن سب الصحابة ﷺ حرام، ومن لعن أحدًا من الصحابة أو سبَّه استحق العقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين.

قال ابن عمر رضي الله عنه: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً - يعني مع النبي ﷺ -، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»[١].

فمن أصول أهل السنة: **سلامة ألسنتهم** في الصحابة، فلا يذكرونهم إلا بخير.

وسلامة قلوبهم من الغل والحقد عليهم، بل يترحمون عليهم، ويحبونهم لفضلهم ولخيرهم، ولأنهم خير الأمة والقرون.

قوله: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

وفي هذا الرد على الروافض والنواصب.

فأهل السنة يقبلون الفضائل الثابتة لهم العامة والخاصة، ويشهرونها.

قوله: (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢]. وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ

---

(١) رواه أحمد في الفضائل (١٥) و(٢٠)، وابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي شيبة (٣٢٤١٥).
قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٤): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٢) سبق تخريجه (ص ١٢٤).

النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ(١)، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة).

فأمة محمد في الفضل مراتب، فأفضل القرون: القرن الأول، ثم الذين يلونهم.

والصحابة على مراتب: **فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة**، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

ولأهل بدر من الفضل ما ليس لغيرهم، كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

ولأهل بيعة الرضوان فضل خاص، كما في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**لا يدخلِ النارَ أحدٌ بايعَ تحتَ الشجرةِ**»، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

قوله: (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ ابنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ).

فيشهدون لكل من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، كالعشرة المذكورين في قوله ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعبد الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١٦٧٥) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. =

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم؛ لما اشتهر من فضلهم خلافًا للرافضة الذين يبغضونهم ويسبونهم، بل يكرهون لفظ العشرة لموافقته اسم العشرة المبشرين بالجنة، ولا يستثنون إلا عليًّا رضي الله عنه.

وكذا ثابت بن قيس رضي الله عنه خطيب الرسول ﷺ حيث قال له رسول الله ﷺ: **«إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»**[1] رواه البخاري.

وعبد الله بن سلام، والحسن، والحسين، وعكاشة، وسعد بن معاذ، وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا[2].

قوله: (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ[3]. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ).

فأهل السنة يقرون بما تواتر به النقل في أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد

= صححه ابن حبان (٧٠٠٢)، والألباني في صحيح الجامع (٥٠).
ورواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.
قال الترمذي: «وسمعت محمدًا -أي البخاري- يقول: هو أصح من الحديث الأول». وصححه ابن حبان (٦٩٩٣)، والضياء في المختارة (٣/ ١٠٣)، والألباني في صحيح الجامع (٤٠١٠).

(١) رواه البخاري (٤٨٤٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أما عبد الله بن سلام رضي الله عنه: فرواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).
وأما الحسن والحسين رضي الله عنهما: فرواه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد (١٠٩٩٩). صححه أحمد - كما في المنتخب من علل الخلال (١٢٤) -، والترمذي، وابن حبان (٦٩٥٩)، والحاكم (٤٧٧٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٦).
وأما عكاشة بن محصن رضي الله عنه: فرواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).
وأما سعد بن معاذ رضي الله عنه: فرواه البخاري (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رواه البخاري (٣٦٧١).
ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: رواه البخاري (٣٦٥٥).

صح عن علي رضي الله عنه أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر».

ويقرون بالخلافة الراشدة لهؤلاء الأربعة جميعًا.

وأفضلية الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم أبو بكر، ثم عمر بلا خلاف بين أهل السنة حتى آل البيت المنقول عنهم جميعًا أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم متواترة ثابتة، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

قوله: (وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِه الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

بيعة عثمان اتفق الصحابة عليها بعد عمر، وكانت بيعة رضًا واختيار.

وتقديم عثمان على علي هو المعروف عن المهاجرين والأنصار.

قال أيوب السختياني: «من قدَّم عليًّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم ندع أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم»[١].

وقد روي أن ذلك كان يبلغ الرسول فلا ينكره[٢].

وتفضيل علي على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم من الأصول التي يضلل فيها المخالف، وأما تقديم علي على عثمان فقد وجد من يقدم عليًّا على عثمان من السلف.

إلا أن جماهيرهم على تقديم عثمان. **قال شيخ الإسلام:** «إن سائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار»[٣].

وقد تنازع السلف فيمن يُقَدِّمُ عليًّا على عثمان هل يُعَدُّ من أهل البدع؟ على قولين، هما روايتان عن الإمام أحمد، واختار شيخ الإسلام: أنه لا يبدع؛ لكون أئمة المسلمين متفقين على أن التبديع إنما يكون في مسائل الأصول التي اتفق عليها أهل العلم[٤].



---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في الفضائل (٨٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٩٣). وإسناده صحيح.

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٧٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

[منزلةُ أهل البيتِ النبويِّ عندَ «أهلِ السنةِ والجماعةِ»]

قوله: (وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١)، وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه -وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**»(٢). وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(٣)

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (١٧٧٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، بلفظ: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي**». ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٣٣).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٥) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

أهل السنة يرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم، فإن الله جعل لهم حقًّا في الخمس والفيء، وشرع الصلاة عليهم مع الصلاة على رسوله ﷺ، فلهم من المحبة والموالاة ما ليس لغيرهم.

وذكر بعض الأدلة في الحث على ذلك، كحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه - عند مسلم - عند ماء غدير خم: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وقوله للعباس لما اشتكى إليه أن بعض قريش يجفوا بني هاشم، فقال: «**وَاللهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ، وَلِقَرَابَتِي**» رواه أحمد في المسند.

والأقرب في آل النبي ﷺ: أنهم من حُرِّمُوا الصدقة بعده، وهم: آل علي، وآل عقيل، وآل العباس، وآل جعفر، وأزواجه من آل بيته، كما في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه السابق، وفيه: فقال له حُصَيْن: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ[(١)].

هذا ما اختاره شيخ الإسلام؛ لقوله سبحانه في خطاب نساء النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وسبب هذه المحبة لهم أمران: إيمانهم وقرابتهم، فإذا اجتمعا لا يكرهونهم أبدًا.

فمن كفر منهم لم نحبه، ولو كانوا من أقارب الرسول ﷺ، فأبو لهب عم النبي ﷺ تجب كراهته؛ لكفره ولإيذائه النبي ﷺ.

---

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص٢١٢-٢٢٣).

ولآل البيت عند أهل السنة والجماعة حقوق وواجبات، منها:

حق الموالاة والمحبة؛ لإيمانهم، وقرابتهم من رسول الله ﷺ.

وحق الدفاع عنهم، وتبرئة ساحتهم مما يُنسب إليهم كذبًا وزورًا، وقد ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه الكبير (منهاج السنة) في الرد على من غلا فيهم.

ومشروعية الصلاة عليهم، وذلك في عقب الأذان.

واليقين بأن نسب رسول الله ﷺ وذريته هو أشرف أنساب العرب قاطبة؛ لقوله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**.

وتحريم الزكاة عليهم؛ لكرامتهم؛ لقوله ﷺ: **«إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ»**(١).

قال شيخ الإسلام: «وأما تحريم الصدقة: فحرَّمها عليه وعلى أهل بيته تكميلًا لتطهيرهم، ودفعًا للتهمة عنه؛ كما لم يُوَرِّثْ، فلا يأخذ ورثته درهمًا ولا دينارًا»(٢).

وأهل السنة يَتَوَلَّوْن زوجات الرسول ﷺ، ويحبونهن، ويعظمون قدرهن، ويعرفون فضلهن، ويتبرؤون ممن أذاهن أو سبهن، فهن أمهات المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فكل واحدة من زوجاته أمٌّ للمؤمنين، وهن: خديجة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي.

---

(١) رواه مسلم (١٠٧٢) من حديث عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠).

وقد توفي الرسول ﷺ عن تسع بلا خلاف.

وأفضل نسائه: خديجة وعائشة ﵄، وقد جاء لكل واحدة منهن فضائل لم يشاركها غيرها.

وقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ وقد اختص كل واحدة منهما بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول الله ﷺ، وتثبته، وتبذل دونه مالها، فلها من النصر والبذل ما ليس لغيرها.

وعائشة تأثيرها في آخر الإسلام والتفقه في الدين، وتبليغه للأمة ما ليس لغيرها[1].

[تبرُّؤُ «أهلِ السنةِ والجماعةِ» ممَّا يقُولهُ أهلُ البدعِ والضَّلالةِ في حقِّ «الصحابةِ» و«آلِ البيتِ»]

قوله: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ).

أهل السنة والجماعة يتولَّوْن جميع المؤمنين، ويتكلمون فيهم بعلم وعدل، ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعًا، ويتولَّوْن جميع الصحابة السابقين، ويعرفون قدرهم وفضلهم، ويرعون حقوق أهل البيت.

وبهذا يفارق أهل السنة الرافضة والنواصب؛ فالرافضة تطعن في الصحابة إلا بضعة عشر رجلًا، ويعتقدون ردتهم -والعياذ بالله-، والنواصب يبغضون عليًّا وآل البيت ويناصبونهم العداء، وأهل السنة سالمون من هاتين الضلالتين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٣).

ومن كَذِب الرافضة وضلالهم: تسميتهم أهل السنة ناصبة؛ لأنهم لم يوافقوهم على بدعتهم، ويُقابلهم الخوارج وأشباههم من النواصب الذين يزعمون أن محبة أهل البيت رفض، وهذا كذب وضلال، وأهل البدعة يُلقّبون أهل السنة بذلك لينفِّروا عنهم ويستنقصوهم، وهذا ديدن أهل الأهواء في رمي من يخالفهم بالبهت والزور، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وأهل السنة أهل عدل، بعيدون عن الهوى والتعصب، وهم ينزلون الصحابة وآل البيت منزلتهم التي تليق بهم.

قوله: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ. حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ

أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ، نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ).

بيَّن هنا بكلام متين المنهج السليم والموقف الصحيح تجاه ما شجر بين الصحابة من اختلاف، وما نُقِل عنهم من أخطاء ﷺ، وما ذكره المؤلف واضح وظاهر، **وحاصله في فوائد**:

الأولى: الواجب الكف عما شجر بين الصحابة، فلا يخاض فيه، ويجب ذكر محاسنهم، والترضي عليهم، وترك التحامل عليهم، واعتقاد العذر لهم عما شجر بينهم؛ لأنه إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكورًا، أو ذنبًا مغفورًا، أو اجتهادًا قد عُفِي لصاحبه عن الخطأ فيه، فمن أصول أهل السنة أنه لا يُمَكَّنُ أحدٌ من الكلام في هؤلاء المختلفين بكلام يقدح في عدالتهم وديانتهم، فكلهم عدول، وما حصل من الحروب بينهم فقد كان لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها، وكلهم عدول متأولون - رضي الله عنهم أجمعين -.

الثانية: اعلم أن الفتنة قامت والصحابة متوافرون، فلم يشارك فيها إلا القليل، وأكثر من شارك فيها وأثارها من غير الصحابة، ومن شارك من الصحابة كان متأولًا مجتهدًا، فهو إما مصيب مأجور، أو مخطئ خطأً مغفورًا له، فجمهور الصحابة لم يدخلوا في الفتنة.

قال ابن سيرين: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[١].

(١) رواه الخلال في السنة (٧٢٨). قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٣٧): «وهذا الإسناد =

فطريق السلامة الكف عما شجر بينهم، وعدم نقله، ونقول ما قاله عمر بن عبد العزيز لما سُئِل عما وقع بينهم، فقال: «تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللَّهُ يَدَيَّ مِنْهَا، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَخْضِبَ لِسَانِي فِيهَا»(١).

الثالثة: ما ينقل عن الصحابة من المثالب على نوعين:

الأول: آثار مكذوبة أو محرَّفة دخل فيها من الزيادة والنقصان ما أخرجها إلى الذم والطعن.

وأكثر المنقول من المطاعن هو من هذا الباب، إنما يرويها الكذَّابون أمثال لوط بن يحيى أبو مخنف، والكلبي، وغيرهما، فهذا لا يجوز اعتقاده ولا نشره.

الثاني: الأخبار الصحيحة، وهذه على قسمين:

الأول: أكثرها لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوبًا، ويجعلها من موارد الاجتهاد، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الأربعة من هذا الباب.

الثاني: ما حصل من بعضهم من الذنوب والأخطاء التي ليست من موارد الاجتهاد لا يقدح فيما عُلِم من فضلهم وسابقتهم؛ لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب، منها: التوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم(٢)، وما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق به، فهم أحق

= من أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل».

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٧-٥٠١).

بكل مدح، ونفي كل ذم، ولأجل هذا قال أهل السنة: الواجب الكف عما شجر وبدر من الصحابة وما نُقِل مما حصل بينهم ﵃.

الرابعة: أهل السنة لا يرون عصمة أحد من الصحابة ولا آل البيت، ولا يؤثمونهم باجتهادهم، بخلاف أهل البدع الذين غلوا من الجانبين، فطائفة عصمتهم، وطائفة أثَّمَتْهُم.

وأما الأنبياء: فاتفق العلماء أنهم معصومون في تبليغ الرسالة لا يقرون على خطأ، وهم معصومون من الكبائر، وأما الصغائر فقد تقع منهم، ولكن لا يقرون عليها.

قوله: (وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

وشواهد هذا في الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة كثيرة.

قال ابن مسعود ﵁: «من كان منكم مُستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحيَّ لا يُؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمدٍ أبرَّ هذه الأمةِ قلوبًا، وأعمقُها علمًا، وأقلُّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامِة دينِه، فاعرِفُوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم»[(١)].

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «**خير القرون قرني**»[(٢)].

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﵁ قال: «إنَّ اللهَ تَعَالَى اطَّلَعَ فِي قُلُوبِ

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٤٧)، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤).
(٢) سبق تخريجه (ص ١٢٣).

الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَ، فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ، وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ»(١).

فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان، والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله، فهو ببركة ما عمله الصحابة الذين بلَّغُوا الدين وجاهدوا في سبيل الله -فرضي الله عنهم أجمعين- لا كان ولا يكون مثلهم، وجمعنا بهم في دار النعيم.

[موقفُ «أهلِ السنةِ والجماعةِ» في «كراماتِ الأولياء»]

فصل: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

منهج أهل السنة إثبات كرامات الأولياء، وأنها حق، كما دلَّ عليها القرآن

---

(١) رواه أحمد (٣٦٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١١٢) (٨٥٨٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٨): «رجاله موثقون». وقال ابن حجر في الدراية (٢/ ١٨٧): «إسناد حسن». وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٥٨١): «وهو موقوف حسن».

في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار الكثيرة، واتفق عليها العلماء، وإنما أنكرها أهل البدع ومن تابعهم، فكرامات الأنبياء حقٌّ، وهي أمور تكون خارقة للعادة، فتكون أحيانًا في خوارق العلم، أو في القدرة، أو في الاستغناء عن بعض الضروريات، ونحوها.

ومن ذلك: رؤية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر جَيْشه بنهاوند حتى قال: يا سارية بن حصن الجبل الجبل، وعمر بالمدينة على المنبر وسارية في وجه العدو على مسيرة شهر، يا سارية الجبل الجبل، وسمع سارية ذلك حين ناداه[(١)].

وإخبار أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ببطن زوجته أنثى[(٢)]، وإخبار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمن يخرج من ولده فيكون عادلًا، وقصة صاحب موسى في علمه بالغلام[(٣)].

وقصة أهل الكهف وبقائهم المدة الطويلة بلا طعام ولا شراب، وشرب خالد بن الوليد السم من غير أن يضر به[(٤)].

وقصة سفينة مولى رسول الله ﷺ، فعن محمد بن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحًا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل إليّ يريدني. فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهَمْهَمَ فظننت أنه يودعني»[(٥)].

---

(١) انظر: كرامات الأولياء للالكائي (ضمن شرح أصول الاعتقاد) (٩/ ١٢٧)، الاعتقاد للبيهقي (ص٣١٤)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٦١)، النبوات (١/ ١٣٩).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢٩٣٩)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٩/ ١٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٨).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٥). وانظر: النبوات (١/ ١٤٠).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٨٠)، والحاكم في المستدرك (٤٢٣٥)، وأبو نعيم في =

وجريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقد ذكر أهل التواريخ أنه لَمَّا افْتُتِحَتْ مِصْرُ أَتَى أَهْلُهَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالُوا: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، لِنِيلِنَا هَذَا سُنَّةٌ لَا يَجْرِي إِلَّا بِهَا.

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: إِذَا كَانَتِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عَمَدْنَا إِلَى جارية بِكْرٍ مِنْ أَبَوَيْهَا، فَأَرْضَيْنَا أَبَوَيْهَا وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَلْيِ وَالثِّيَابِ أَفْضَلَ مَا يَكُونُ، ثُمَّ أَلْقَيْنَاهَا فِي هَذَا النِّيلِ.

فَقَالَ لَهُمْ عَمْرٌو: إِنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ.

قَالَ: فَأَقَامُوا أشهرًا وَالنِّيلُ لَا يَجْرِي قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، حَتَّى هَمُّوا بِالْجَلَاءِ، فَكَتَبَ عَمْرٌو إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ قَدْ أَصَبْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ، وَإِنِّي قَدْ بعثت إليك بطاقة دَاخِلَ كِتَابِي، فَأَلْقِهَا فِي النِّيلِ.

فَلَمَّا قدِمَ كِتَابُهُ أَخَذَ عَمْرٌو الْبِطَاقَةَ فَإِذَا فِيهَا: «مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نِيلِ أَهْلِ مِصْرَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي مِنْ قِبَلِكَ ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر اللَّه الْوَاحِدِ الْقَهَّار، وهو الَّذِي يُجْرِيكَ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجْرِيَكَ، قَالَ: فَأَلْقَى الْبِطَاقَةَ فِي النِّيلِ، فَأَصْبَحُوا يَوْمُ السَّبْتِ وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ النِّيلَ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَعَ اللَّهُ تِلْكَ السُّنَّةَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الْيَوْمِ»(١).

فهذه الكرامات التي تجري لأولياء الله وعباده الصالحين إنما تكون **لحجة أو حاجة، فالحجة** لإقامة دين الله، **والحاجة** لما لا بُدَّ منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله(٢).

= الحلية (١/ ٣٦٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٣١٦).

(١) كرامات الأولياء للالكائي (٩/ ١٢٦).

(٢) انظر: الفرقان (ص١٥٥)، مجموع الفتاوى (١/ ٨٤، ١١/ ٢٧٤)، زاد المعاد (٣/ ٥٤٨).

وقد ضلَّ في كرامات الأولياء طائفتان:

الأولى: طائفة أنكرتها ولم تثبت إلا معجزات الأنبياء، وأنكروا كرامات الأولياء، وهذا حال أكثر المعتزلة.

والثانية: غلت في إثبات الكرامة، وأفرطوا فيها الحد، وهم المتصوفة، حيث ادعوا باسم الكرامة للأولياء ما هو من خصائص الله وحده؛ حتى لا يفرقون بين ما يحصل من الخوارق على يد الساحر والكاهن، وعلى يد الولي الصالح.

والصواب ما ذهب إليه أهل السنة، وهو إثبات كرامات الأولياء دون غيرهم، فأثبتوا الكرامات للأولياء على ضوء النصوص ووَفقِ الأدلة دون غلوٍ، أو جفاءٍ، أو إفراطٍ، أو تفريطٍ.

وأما ما يكون للسحرة والكهان فليس من كرامات الأولياء، وإن كان خارقًا.

ومع هذا فلا ينبغي للمسلم أن يتطلب وقوع الكرامة له، بل ليعمل ما يرضي ربه وينصر دينه، فإن وقعت على يديه كرامة حمد الله ولم يغتر، وزادته ثباتًا، وإن لم يقع على يديه شيئًا فليعلم أن الكرامة وسيلة لا مقصدًا تقع للبعض ولا تقع للأكثر مع صلاحه وتقواه.

قال أبو علي الجوزجاني: «كُنْ طَالِبًا لِلإسْتِقَامَةِ لَا طَالِبًا لِلْكَرَامَةِ، فَإِنَّ نَفْسَك منجبلة عَلَى طَلَبِ الْكَرَامَةِ وَرَبُّك يَطْلُبُ مِنْك الِاسْتِقَامَةَ»(١).

هناك فرق بين كرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية:

الأول: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٠).

سببها ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ(١).

الثاني: أن آيات الأنبياء والأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وأما الأحوال الشيطانية فتبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن لا سيما آية الكرسي، فإنها تبطل عامة هذه الخوارق الشيطانية(٢).

الثالث: أن كرامات الصالحين لا تعارض لا بمثلها ولا بأقوى منها، وأما ما يأتي به السحرة وكل مخالف للرسل فيمكن معارضته بمثله وأقوى منه(٣).

الرابع: أن كرامات الصالحين مقصودها عبادة الله وتصديق رسله، فهي آيات ودلائل وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد، وأما ما يأتي به السحرة والكهان فمقصوده الكفر والفسوق والعصيان والظلم(٤).

[صفاتُ «أهلِ السنةِ والجماعةِ»]

فصل: (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ**

(١) انظر: الفرقان (ص١٧١، ١٩٠).

(٢) انظر: النبوات (٢/ ١٠٣٠).

(٣) انظر: النبوات (٢/ ١٠٨٢).

(٤) انظر: النبوات (٢/ ١٠٨٢).

الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[(١)]. وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ. وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ. وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ).

فأهل السنة والجماعة في طريقتهم يعتمدون **ثلاثة أصول**:

الأصل الأول: القرآن: وهو أصلها وأساسها، فإنه مُبَيِّنٌ للدين كله، موضحٌ لسبيل الهدى، كافٍ من اتبعه، وأدلة ذلك كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

الأصل الثاني: السنة النبوية: فإن الرسول ﷺ بَيَّنَ للناس لفظ القرآن ومعناه، فلا يقدمون على هدي الرسول ﷺ وقوله قول أحد كائنًا من كان، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.
صححه الترمذي، وابن حبان (٥)، والحاكم (٣٢٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٦٤)، وابن تيمية في منهاج السنة (٤/ ١٦٤)، وابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٥٨٢)، والألباني في الإرواء (٢٤٥٥). وحسنه البغوي في شرح السنة (١/ ٢٠٥).

وفي حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء...**»، فهدي الرسول ﷺ وسنته هي الميزان الذي توزن به الأعمال والأقوال، فما وافقها قُبِل، وما خالفها رُدّ على صاحبه كائنًا من كان.

الأصل الثالث: الإجماع: وهو ما اتفق عليه المسلمون، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. وقوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»(١) رواه الترمذي من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والإجماع الذي ينضبط: ما كان عليه السلف الصالح في زمن الصحابة، أما بعدهم فقد انتشرت الأمة فيصعب ضبط الإجماع، ولكن يُعرف قول الجمهور أو أكثر العلماء.

ومن أصول أهل السنة حرصهم على هدي الرسول ﷺ وبُعدهم عن البدع؛ لأن الرسول ﷺ كمّل الله به الدين، والابتداع إثبات عبادة لم يشرعها الله ورسوله ﷺ، ولذا قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»(٣)، وقال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا

(١) رواه الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورواه أبو داود (٤٢٥٣) من حديث أبي مالك الأشعري. قال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/ ٢٩٩): «حديث مشهور، له طرق كثيرة لا يخلو واحد منها من مقال. منها: لأبي داود عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا... وفي إسناده انقطاع. وللترمذي والحاكم عن ابن عمر مرفوعًا... وفيه سليمان بن شعبان المدني، وهو ضعيف، وأخرج الحاكم له شواهد».

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) رواه الدارمي في سننه (٢١١)، وابن وضاح في البدع (١١)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥٤)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢٧).

لك بالقول»[١].

ومن أصول أهل السنة اعتقادهم أن كلام الله أصدق كلام، فأخباره صدق، وأحكامه عدل، وشرعه على التمام، وأن هدي الرسول ﷺ أكمل هدي وأحسنه، فكل ما خالفه فهو إما غلو أو جفاء.

وإنما سُمُّوا أهل السنة؛ لاتباعهم الكتاب والسنة الثابتة عن رسولهم ﷺ في الأصول والفروع.

وسُمُّوا أهل الجماعة؛ لاجتماعهم على آثار الرسول ﷺ، والاستضاءة بأنواره، وتحكيمه، فالجماعة هم المجتمعون على الحق.

فعقائد أهل السنة والجماعة وعباداتهم في القرون المعاصرة مطابقة تمامًا لعقائد الرسول ﷺ والصحابة؛ لأن المصدر واحد، والكلمة واحدة، فلا اختلاف بينهم، بخلاف أهل الأهواء فإنهم فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، كل حزب بما لديهم فرحون.



---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١٢٧)، والبيهقي في المدخل (٢٣٣).

[بيانُ مكمّلاتِ العقيدةِ من مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمال التي يتحلَّى بها «أهلُ السنةِ»]

فصل: (ثُمَّ هُم مَّعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ: وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[(١)]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**»[(٢)]. وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[(٣)]. وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ

---

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

حَقٌّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

بَيَّنَ في هذا الفصل ما تمّيز به أهل السنة والجماعة في مسلكهم العملي بعد الفراغ من ذكر ما تميّزوا به في عقائدهم وأصول دينهم.

فمن سماتهم ومحاسنهم: قيامهم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على وفق الشريعة بالرفق والصبر والعلم.

والنصوص من الكتاب والسنة في الحث على هذا الأمر كثيرة جدًّا.

ومن سماتهم ومحاسنهم: أنهم يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع ولاة الأمور حتى الصالحين والفجار، ولا يرون الخروج عليهم وقتالهم بالسيف، وإن جاروا وظلموا، ويرون الصبر والنصيحة عند حصول معاصٍ وظلمٍ وانحرافٍ من الولاة.

وكل هذا من أصولهم التي خالفهم فيها أهل البدع من الخوارج، والرافضة، والمعتزلة، وغيرهم الذين يرون جواز الخروج على ولاة الأمور إذا فعلوا ما هو ظلم، ويرونه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة.

قال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾** [النساء: ٥٩]، وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»(١).

= صححه الترمذي، وابن حبان (٤١٧٦)، والحاكم (٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٤).

(١) رواه البخاري (٣١٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه. =

وروى أبو داود عن أبي هريرة ﵁ أن الرسول ﷺ قال: «**الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا**»(١).

وروى مسلم عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عباس ﵄ أن الرسول ﷺ قال: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣).

فيرون وجوب طاعتهم فيما أمروا به من طاعة، وأما إذا أمروا بمعصية فلا طاعة لهم في ذلك الأمر مع بقاء بيعتهم في سائر الأمور.

وكل هذه النصوص في التأكيد على لزوم إمامة المسلمين وجماعتهم، وإقامة الشعائر معهم، وجمع الكلمة عليهم؛ لما يحصل بذلك من المنافع والمصالح العامة، ففيها سعادة الدين، وانتظام مصالح العباد في معاشهم، وحفاظًا على بيضة المسلمين، وجمعًا لكلمتهم، ودفعًا لمفاسد يعسر ردها عند مخالفة ذلك.

ويستعينون بذلك على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي ﵁: «إنَّ

= ورواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد ﵁، بلفظ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**».

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣) من حديث أبي هريرة ﵁. وهو منقطع؛ مكحول لم يسمع من أبي هريرة ﵁. وقال ابن رجب في فتح الباري (٦/ ١٨٨): «وقد أنكر أحمد هذا، ولم يره صحيحًا». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٧٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر ﵄.

(٣) رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس ﵄.

النَّاسَ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا إِمَامٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ»[١]، وقال الحسن في الأمراء: «هم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم»[٢].

فإمام عادل خير من مطر وابل، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.

إن الخلافةَ حبلُ الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن كانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

ومن سماتهم ومحاسنهم: الصبر على جور الأئمة مع مداومة النصح والتذكير، وإنكار المنكر حسب ما جاءت به الشريعة، وأما رفع السيف فهذا مخالف لأصولهم، فلا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الفساد الذي أزالته[٣]، ومن الأمثلة: ما حصل في خروج ابن الزبير، والحسين ﵄، وابن الأشعث، وذي النفس الزكية، وغيرهم[٤].

فالخروج على الولاة وقتالهم حرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ذلك، وأجمع أهل السنة على أن الإمام لا ينعزل بالفسق.

وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه: ما يترتب على ذلك من الفتنة، وإراقة الدماء، وإفساد ذات البين، فتكون المفسدة في ذلك أكثر من المفسدة في بقائه، والشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٧٢٥٤).
(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٧).
(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١).
(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٧-٥٣١).

وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، وفي الخروج على السلطان الفاسق مفاسد كثيرة نحن مأمورون بدفعها، وأما السلطان الكافر فالمصالح المترتبة على إزالته أضعاف المفاسد المترتبة على الخروج عليه.

قوله: (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**»).

فمن أخلاق أهل السنة أنهم يدينون بالنصيحة لعموم المسلمين في مصالحهم الخاصة والعامة، كما في حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[١].

وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، . . . ومنها: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»[٢].

وروى الترمذي أن الرسول ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تحيط من وراءهم**»[٣].

---

(١) رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. =

فينصحون للمسلمين، ويحسون بآلامهم وآمالهم، ويشد بعضهم بعضًا، قصدهم في هذا وجه الله، كما قال شيخ الإسلام: «السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخاف الله فيهم، ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم»(١).

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**. وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ،وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

وهذه جملة من أخلاقهم وآدابهم، وشواهدها في الكتاب والسنة كثيرة، فأهل السنة أحسن المسلمين أخلاقًا وهديًا وتعاملًا؛ لأن إمامهم في ذلك الرسول ﷺ، والصحابة ﵃، ومصدرهم الكتاب والسنة.

فهم أصبر الناس عند المصائب: فلا يجزعون، بل يتلقون المصائب بقلوب

= وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة، منهم: جبير بن مطعم، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك ﵃. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٣-٦٧٦٦).

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٥١).

راضية؛ لعلمهم بفضل الصبر، وحكمة الرب، وأن من يرد الله به خيرًا يصب منه.

وهم أشكر الناس عند النعم: فلا يجحدون، ولا يبطرون.

وهم أحسن الناس خلقًا وتعاملًا مع القريب والبعيد، والموافق والمخالف، قدوتهم في ذلك النبي الكريم عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

قوله: (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ[١]. وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: **«هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي»**[٢]، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**[٣]، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وصلى الله على محمدٍ وآله، وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا).

---

(١) سبق تخريج حديث الافتراق (ص ١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٦).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٦).

فالفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة، فليس لهم متبوعٌ يتحاكمون لأقواله وأفعاله أعلى من رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأفعاله، وأعظم الأمة تمييزًا بين صحيحها وسقيمها.

وأهل السنة والجماعة لا يوجد في سائر فرق الأمة مثلهم في كثرة أهل العلم والزهد والجهاد والصلاح، ففيهم الصديقون الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم، والشهداء، وأعلام الهدى وهم العلماء، وأما الأبدال فالأحاديث الواردة فيهم ضعيفة، كما بيّنه شيخ الإسلام في الفرقان، وابن القيم في المنار المنيف، والألباني في الضعيفة(١)، ويغني عن ذلك المجددون؛ لقول رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»**(٢) رواه أبو داود.

وهم أبعد الناس عن الحيرة والضلال بخلاف سائر الطوائف فإن الجهل والتناقض ظاهر في عقائدهم حتى ظهر ذلك على كلامهم وأشعارهم. قال الشهرستاني:

لعمري لقد طُفْتُ المعاهدَ كلَّها ... وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وقال الرازي:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عِقالُ ... وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ
وأرواحُنا في وَحْشَةٍ مِنْ جُسومنا ... وغايةُ دنيانا أذىً ووبالُ

---

(١) انظر: الفرقان (ص١٧)، المنار المنيف (ص١٣٦)، السلسلة الضعيفة للألباني (٩٣٥)، وقال: «واعلم أن أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء، وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفًا من بعض، وأنا ذاكر لك بعضها، وكاشف عن عللها...» ثم ذكرها.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صححه الألباني في الصحيحة (١٤٨/٢).

ولمْ نستفدْ مِنْ بحثنا طولَ عُمْرِنا سوى أَنْ جمعنا فيه قيلَ وقالوا

وهذا حال كل من لم يعتصم بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فمآله إلى الحيرة والاضطراب وعدم الوصول إلى نتيجة صحيحة.

تخالف الناس فيها قد رأوا ورووا وكلهم يدعون الفوز بالظفر

فخذ بقول يكون النص ناصره إما عن الله وإما عن سيد البشر

وأما أهل السنة فهم أصح الأمة عقيدة، وأحسنهم طريقة، وأصدقهم إيمانًا، وأطيبهم أخلاقًا، وأزكاهم نفوسًا، وأهداهم سبيلًا، وأثبتهم نقلًا، وأجودهم عقلًا، وأكثرهم عبادة، وأعفهم يدًا ولسانًا، وأتبعهم للرسول ﷺ، وأعرفهم للمنقول والمعقول، وأقلهم اختلافا، وأكثرهم اتفاقًا، فنحمد الله على أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأله أن يتوفانا على الإسلام والسنة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



فهرس الموضوعات

* * *